المقتطف

الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

١ دسمبر (كانون الاول) سنة ١٩٠٥ — الموافق ٤ شوال سنة ١٣٢٣

السر هنري ارفنغ

لقد يعجب المرء لاول وهلة اذا دخل كنيسة وستمنستر التي يدفن فيها ملوك الانكليز وعظماؤُهم ورأَى ضريح ممثل من الممثلين او شاعر من الشعراء بجانب اضرحة كبار الملوك والقوَّاد والوزراء . ولكنهُ اذا نظر في الامر مليًّا لم يرَ سببًا للعجب لان النوابغ الذين يفوقون غيرهم لا ينحصرون في فئة من الناس والنابغة في الشعر او في التمثيل او في الغناء كالنابغة في سياسة الممالك او في قيادة الجيوش ولا مزية للواحد على الآخر الاَّ بمقدار ما يسترعي السمع ويحمل الامَّة على اكرامهِ فاذا نهضت الامة واكرمت شاعرًا او مغنيًا في حياتهِ وطلبت ان يكرم في مماتهِ فقولها القول الفصل وكلمتها هي المرعية . ومن هذا القبيل اكرام الامة الانكليزيَّة للسر هنري ارفنغ الممثل المشهور الذي توفي بالامس

ولد هذا الرجل سنة ١٨٣٨ واسم ابيهِ صموئيل برودريب ولكن السر هنري انتحل اسم ارفنغ سنة ١٨٨٧ برخصة ملكية . وكان مولعًا منذ صغرهِ بمطالعة الاقاصيص الشعرية فحفظ منها ما راقهُ . ولما بلغ الحادية عشرة اتى مدينة لندن ودخل احدى مدارسها وكان يقضي وقتًا طويلاً في مكتبتها يقلّب الكتب القديمة وينتقي الخطب التي كان يُطلب من التلامذة حفظها فيفضّل ما كان كثير الخيال منها

وبعد ان اقام في المدرسة سنتين اخرجهُ ابوهُ منها وادخلهُ مكتبًا تجاريًّا ليكون كاتبًا فيهِ فكان يأتي كلَّ يوم بالدواوين الشعرية والروايات التمثيلية ويطالعها في ساعات الفراغ ويبذل الجهد في استظهارها حرفًا حرفًا . وكان راتبهُ ١٣ شلنًا في الاسبوع فكان يوفّر منهُ بعض دريهمات لمشترى كتب التمثيل وينهض كلَّ يوم الساعة الرابعة صباحًا فيتمشى الى النهر حيث

كان يغتسل ثم يشرع في قراءة تلك الكتب وحفظ ما فيها حتى الساعة التاسعة وهو وقت فتح المكتب

السر هنري ارفنغ يقرأ اشعار تنيسن

واتفق ان بعض المولعين بفنّ التمثيل نظم فرقًا لدرس هذا الفنّ فكان تلامذة كلّ فرقة يجتمعون في مكان معيّن ويتلو كلٌّ منهم ما اختار حفظهُ ويتفنن في الالقاء والاشارات كما لوكان يمثّل على المشهد فينتقد الآخرون القاءهُ واشاراتهِ . وفي ذات مساء دخل عليهم شابٌّ حسن الطلعة طويل القامة لابس ملابس سوداء ولم يكن احد يعرفهُ . فجلس يصغي الى ما يقال حتى جاء دورهُ فوقف وجعل يلقي ما وعاهُ من غير ان يعتذر عن تطفُّلهِ عليهم فأُعجبوا بهِ غاية الاعجاب وهو هنري ارفنغ . واخيرًا عوَّلوا على التمثيل في المشاهد العمومية فطرب ارفنغ لذلك وكان كلما القى شيئًا في دورهِ يصفق لهُ السامعون و يستعيدونهُ وكان يميل الى تمثيل ادوار الرجال في الروايات ولكن حال دون ذلك نحافة جسمهِ ولطافة قدهِ فكان يعطى ادوار النساء

اما ابوهُ فكان يؤمل انهُ يرتقي في وظيفتهِ من كاتب الى شريك ولكنهُ كان ضعيف الرأي فلم يقاوم تعلُّق ابنهِ بفنّ التمثيل . واما امهُ فهالها ذلك الامر ورأت في تعلُّقهِ بالتمثيل ضياع آمالها فتوسلت اليهِ ان يترك التمثيل وشأنهُ وكانت مخالفتها اصعب شيء عليهِ لانهُ كان يحبها فحاول اقناعها بانهُ مصيبٌ في رأيهِ ولكن على غير طائل لان نفورها من التمثيل كان شديدًا وحبها لابنها كان اشدّ حتى انها اجتمعت مرةً بالممثلين الذين كان ابنها منتظماً في سلكهم وكلمت كلاًّ منهم على حدة وتوسلت اليهِ ان يقنع ابنها بالعدول عن اتخاذ التمثيل حرفة لهُ . لكنهُ لم يعبأ بذلك كلهِ بل ظلّ يواظب على الدرس والمطالعة في ساعات الفراغ نهارًا وحضور فرقة التمثيل ليلاً ولجأ الى ممثل معروف فكان يعلمهُ كيفية الالقاء وإتيان الاشارات ساعة كلّ يوم. ولم يكن قد حضر تمثيل الروايات في المشاهد العمومية بسبب ما كان يلقى من مقاومة عائلتهِ لذلك فاغتنم الفرصة ذات ليلة وخرج من المنزل سرًّا وحضر تمثيل رواية "هملت" في احد المشاهد وخرج مرة ثانية وحضر تمثيل رواية اخرى وعاد الى منزلهِ الساعة الواحدة بعد نصف الليل وكان اهلهُ قد دروا بخروجهِ فرآهم مجتمعين يندبون مستقبلهُ ويبكون ضياع آمالهم بهِ

ولم يمضِ زمان طويل على ذلك حتى ترك المكتب واعلن عزمهُ على الانتظام في سلك الممثلين جهارًا . وفي سبتمبر سنة ١٨٥٧ ظهر اول مرة في مشهد عمومي وما زال منذ ذلك الحين يواظب على التمثيل بلا كلل ولا ملل حتى طبقت شهرتهُ الآفاق وانعمت الملكة فكتوريا عليهِ بلقب سر سنة ١٨٩٥ وهو اول ممثل اعطي هذا اللقب

الاَّ ان الشهرة لا تأْتي عفوًا . وليس الناس بالمبذرين في اكرامهم لغيرهم حتى يكرموا مَن يستحق الاكرام ومَن لا يستحقهُ . فلم ينل ارفنغ ما نال من الشهرة الواسعة الاَّ بعد ان دفع ثمنهُ سهرًا ودرسًا واجتهادًا قلَّ ان فاقهُ احد فيها . وهذا مضافًا الى ما ميزتهُ بهِ الفطرة من المزايا اللازمة للتفوُّق في فن التمثيل اكسبهُ ما اكسبهُ من المقام بين قومهِ . ولقد اجمع الباحثون في سيرتهِ على انهُ رقَّى فن التمثيل في البلاد الانكليزية وجعل عقلاء الامة وعلماءها يرغبون فيهِ بعد ان رغبوا عنهُ زمانًا طويلاً . ولم يقصّر في ما يتطلبهُ اهل العواطف والازياء بل ارضى الجميع فرأى العلماء والحكماء في تمثيلهِ علمًا وحكمةً واهل الخيال ومحبو الجمال تخيُّلاً وجمالاً وطلاَّب القصوف والتسلية ما يسر ويسلّي فاجمعت الامة على الاعجاب بهِ من حين قام في مشاهد التمثيل الى ان واراهُ لحدهُ وختمت اكرامها لهُ بدفنهِ حيث يدفن اعظم عظمائها وبنابينهِ في جرائدها كأَنهُ اعظم النابغين فيها

الرائحة وسببها

والفائدة العملية من ذلك

ان الذين درسوا العلوم الطبيعيَّة رأَوا فيها ان الرائحة ناتجة عن دقائق صغيرة تنتشر من الجسم ذي الرائحة وتؤَثر في اعصاب الشم . لكن الروائح العطرية ونحوها تدلُّ دلالة واضحة على ان دقائق الجسم يجب ان تكون اصغر مما يفرَض عادةً فان القمحة من المسك تتضوَّع رائحتها في غرفة توضع فيها سنين كثيرة ثم توزن في آخر المدة فاذا ثقلها على حالهِ لم ينقص شيئًا

ولبعض الحشرات قوة غريبة في الشم فانهُ اذا وُضعت فراشة من الفراش المعروف باسم ستورنيا كربيني في صندوق من الخشب ووضع الصندوق في غاب شمَّت ذكور الفراش رائحتها عن بُعد ميل واتت اليها وما ذلك الَّا لان رائحتها انتشرت على مسافة ميل حولها مع انها ضمن الصندوق فاذا فرضنا انهُ انتشر في القدم المكعبة من الهواء عشر ذرات فقط من رائحتها وفرضنا ان سمك منطقة الهواء عشر اقدام فقط فقد انتشر فيها ثلاثة عشر الف مليون ذرة

وكان المظنون ان هذه الذرات مواد جامدة خارجة من الجسم الذي تنتشر منهُ لكن الدكتور اتكن العالم الطبيعي اثبت الآن انها ليست مواد جامدة بل هي غاز ينتشر من الجسم ذي الرائحة

وذلك انهُ اذا كان في اناءٍ زجاجي اجسام دقيقة منتشرة فيهِ وأُدخل اليهِ قليل من البخار المائي تكاثف البخار حول الدقائق المنتشرة في الاناء وصار ضبابًا منظورًا

واذا كان في الاناء هواءٌ عاديٌّ تكاثف البخار فيهِ ضبابًا ولكن اذا رُشّحَ الهواء من من الغبار والهباء بمرورهِ في القطن المندوف لم يتكاثف البخار فيهِ بل يبقى غير منظور

وطريقة اظهار ذلك ان يوضع قليل من الماء في زجاجة و ينزع بعض الهواء منها بمفرّغة الهواء فللحال يستحيل بعض الماء الذي فيها بخارًا و يتكاثف فيها ضبابًا حول دقائق الهباء التي في هوائها . ثم اذا زيد تفريغ الهواء منها حتى لم يعد فيها شيءٌ منهُ بطل تكوُّن الضباب فيها مع انها تكون مملوءَة بخارًا وحينئذٍ اذا أُدخل اليها قليل من الهواء العادي عاد الضباب فتكوَّن فيها ولكن اذا أُدخل اليها هواءٌ منقًى من الهباء بمرورهِ في القطن المندوف لم يتكون الضباب فيها

وقد وضع الدكتور اتكن في قنينة مثل هذه حبَّة من المسك وقال انهُ اذا كانت رائحة المسك تتضوَّع منها ذراتٍ صغيرة وجب ان يتكاثف البخار حولها و يصير ضبابًا واذا لم يتكاثف

فالرائحة ليست ذرات صغيرة بل هي غاز منتشر من المسك . ووجد لدى الامتحان ان البخار لا يتكاثف في قنينة ملئت من رائحة المسك ولا اذا ملئت من رائحة الكافور ولا من رائحة النفثالين . وامتحن كذلك ثلاثاً وعشرين مادة من المواد الجامدة ذات الرائحة القوية فوجد ان روائحها لا تتولد من ذرات صغيرة منتشرة منها بل من غازات صاعدة عنها . والظاهر انهُ لا دليل عندهُ على ان الرائحة غاز سوى انها يجب ان تكون مادة جامدة او سائلة او غازية وهي احوال المادة الثلاث فهي غاز لانها ليست جامدة ولا سائلة ولكننا لا نرى ما يمنع ان تكون من الحالة الرابعة من حالات المادة اي الكترونات منتشرة من المادة ذات الرائحة فدقائقها اصغر من الجواهر المادية التي تتكوَّن الغازات منها

ولو اقتصر بحث الدكتور اتكن على ما تقدَّم لاقتصرت فائدتهُ على كونها علمية نظرية . ولكن العلوم النظرية صارت الآن اساساً للعلوم العملية فلا تكاد تكتشف حقيقة نظرية الاَّ وتكتشف لها فائدة عملية . والفائدة التي بناها الدكتور اتكن على ذلك هي ان الروائح التي تنتشر من الكنف لا يكون فيها اجسام جامدة بل هي غاز محض فليس فيها شيء من جراثيم الامراض على ضد ما يتوهم جمهور الناس والاطباء ولا سيما اطباء الصحَّة الذين اذا شمُّوا رائحة كريهة منتشرة من كنيف في البيت اضطروك ان تقاومها برائحة قد لا تقل كراهة عنها وهي رائحة الحامض الكربوليك . ولا مشاحة في ان الرائحة الكريهة كريهة ويجب التخلُّص منها او تجنُّبها لانها توَّثر في الاعصاب تأثيراً شديداً وقد تمرض بعض الناس ولا سيما قبل ان يعتادوها ولكن الروائح الطيبة تفعل ذلك ببعض الناس . ولا دليل ولا شبه دليل على ان الجراثيم المرضيَّة تكون منتشرة في الروائح الكريهة الاَّ اذا تحركت السوائل في الكنف ومجاريها فانتشر منها رشاش في الهواء وانتشرت معهُ بعض الجراثيم التي كانت في مواد الكنف وكان بينها جراثيم مرضيَّة وذلك نادر جدًّا كما لا يخفى . وهذا يفسّر لنا كيف عاش الناس قروناً كثيرة قبل استنباط الاساليب الجديدة لمنع غازات الكنف من الانتشار في البيت ولم يمرضوا بالامراض ولا كانوا يشكون الاَّ من خبث الرائحة . ويفسّر لنا ايضاً كيف ان السرَّابة اتخذوا كسح الكنف حرفةً لهم ولم يصبهم ضرر الاَّ من قلة الهواء النقي . وكيف ان عيالاً كثيرة تسكن حول اسراب المدن الكبيرة ولا ينالها اذًى

وخلاصة ما تقدَّم ان الرائحة ليست ذرات جامدة منتشرة في الهواء وان الروائح الطيبة والخبيثة سواء في ذلك فلا يُحتمل ان يكون في الرائحة الخبيثة جراثيم مرضية خلافاً لما هو شائع ولما يقول بهِ كثيرون من الاطبَّاء

الدكتور برناردو المحسن الكبير

توفي بالامس رجل اقل ما يقال فيهِ انهُ عظيم . وقد قامت عظمتهُ باحياء النفوس المائتة وانتشالها من وهدة الفقر والبأساء

والرجل المشار اليهِ هو الدكتور برناردو الانكليزي مولدًا والاسباني اصلاً . ولد سنة ١٨٤٥ ولما ترعرع دخل احدى مدارس الطب استعدادًا للخدمة في الصين كاحد المرسلين فرأى ذات يوم غلامًا رثّ اللباس مستفع السحنة فرقّ لهُ وسألهُ عن حالهِ فاخبرهُ الغلام انهُ يتيم لا مأوى لهُ يأوي اليهِ ولا سند يعتمد عليهِ وان لهُ رفقاء كثيرين حالهم شرٌّ من حالهِ فطلب برناردو منهُ ان يريهُ اياهم فمشى امامهُ الى حيث كانت زمرة منهم نائمة . قال الدكتور يصف ذلك المنظر " فرأيت احد عشر غلامًا نائمين في العراء على سطح احد المنازل وقد اتخذوا الحجارة مسندًا لرؤُوسهم والتحفوا السماء وادخلوا اقدامهم في الميازيب طلبًا للدفء فمنهم من اضطجع على جنبهِ وجمع رأسهُ الى رجليهِ كما تفعل الكلاب امام النار ومنهم من انضم الى رفيقهِ تخفيفًا لالم البرد كما تفعل الغنم . ولاح لي ان عمر اكبرهم نحو ١٨ سنة والبقية بين ٩ و ١٤ فراعني انهم كلهم لا مأوى لهم ولا من يعولهم وقلت في نفسي ما هؤُلاء المساكين الاَّ بعضٌ من كلٍّ وشعرت كأَن يد الله مدَّت وازاحت الستار من امام عينيَّ لأَرى خلقهُ ما يقاسيهِ كثيرون من الاولاد في لندن من الشدة والبرحاء فعقدت النية اولاً على فعل ما استطيع فعلهُ وحدي وهو انقاذ الولد البائس الذي كان اول من رأيت من هؤُلاء المساكين ثم على السعي في انقاذ امثالهِ "

وحدث بعد ذلك ما فتح الباب في وجههِ وشدَّد عزيمتهُ على السعي والعمل . وهو انهُ عقد اجتماع للمرسلين في احد احياء لندن وغاب بعضهم فطلب رئيس الاجتماع من برناردو ان يتكلم بدلاً منهُ وكان لا يزال تلميذًا في مدرسة الطب فتمنَّع عن الكلام تهيبًا لانهُ لم يكن قد خطب في حفلة عمومية من قبل ولكن الرئيس وقف وقال انهُ نظرًا الى غياب بعض الخطباء طلبت من احد تلامذة الطب ان يقصَّ علينا شيئًا عن اشغالهِ المدرسية قبل سفرهِ الى الصين قريبًا . فصفق السامعون فلم يسع برناردو اذ ذاك الاَّ ان يمتثل فنهض وهو لا يكاد يعي مما عراهُ من الحياء وبدأَ الكلام وعيناهُ مغمضتان ليستجمع شوارد الموضوع وينسى مكان وجودهِ . فجعل يتعثر اولاً ويتمتم حتى اذا امتلك قواهُ اخذ يتدفق في الكلام تدفق السيل ويصف هول المناظر التي رآها في ايست اند احد احياء لندن ونسي نفسهُ وسامعيهِ حتى بلغ كلامهُ اعماق القلوب

ولما فرغ من الكلام دوت جوانب القاعة بالتصفيق الشديد علامة الاعجاب والاستحسان

وما كاد ينزل عن المنبر حتى استقبلتهُ فتاة خادمة وقالت لهُ "قد جئت الى هذا المكان لمساعدة المرسلين وجعلت دأبي الصلاة لاجلهم منذ سنين . وانا لست الاَّ خادمة فلا يسعني بذل الكثير فوفرت كلَّ ما استطيع لهم . ولكنني لما سمعت كلامك علمت ان الوثني على ابوابنا لا في اقاصي الصين وحدها فالتمس منك ان تقبل مني لاولادك المساكين ما جمعتهُ لمساعدة المرسلين" . ثم وضعت في يدهِ صرَّة نقود وذهبت في سبيلها ولم يرها بعد ذلك . ولما وصل الى منزلهِ فكَّ الصرة فاذا فيها نحو ثلاثة غروش وكانت اول الدراهم التي جاءتهُ من الجمهور والبذرة التي نبت منها نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات وهو ما جمعهُ مدة خدمتهِ البالغة نحو ٤٠ سنة

ونشرت الجرائد خطبتهُ واطَّلع عليها لورد شفتسبري فاثَّرت فيهِ تأثيرًا شديدًا فدعا برناردو للعشاء عندهُ . وبعد العشاء سألهُ وهو بين مصدِّق ومكذّب هل تظنُّ اننا نرى غلمانًا نائمين في العراء هذه الليلة . فأجاب بالايجاب فانكر بعض الحاضرين قولهُ وطلبوا منهُ ان يدلَّهم على المكان الذي يظنُّ الغلمان نيامًا فيهِ فقام امامهم وتبعوهُ على الاثر واللورد معهم حتى وقفوا حيث رأوا بعيونهم ما تحققوا بهِ صدق قولهِ . وكان ذلك بدء عمل من اعظم الاعمال الخيريَّة ومبرَّة من اشرف المبرات فجمع برناردو على اثرهِ نحو ثلاثة ملايين من الجنيهات كما تقدَّم ربَّى بها نحو خمسين الف يتيم ويتيمة تخرجوا من ملجإهِ شبانًا وشاباتٍ ليعضدوا المجتمع الانساني بما استفادوهُ علمًا وعملاً

واول ملجإ انشأهُ كان في مكان اسمهُ ستابني بلندن وذلك سنة ١٨٦٦ ثم جعل يوسعهُ بما يضيفهُ اليهِ من المباني حتى صار دارًا كبيرة سميت ملجأ برناردو وكني هو "بابي الذين لا اهل لهم" وعدد الذين يربون فيها الآن يزيد على ستة آلاف نفس وانشأ ملاجئ اخرى في غير لندن من مدن انكلترا وقراها

ولم يقف عند هذا الحدّ بل شرع يفكّر في طريقة يمكّن بها الذين يخرجون من ملجإهِ من العمل خارجهُ فاهتدى اليها وهي انهُ انشأ ادارة للمهاجرة وجعل يسفّر الشبان والشابات الى كندا حيث اشترى مزارع وحقولاً تقدر مساحتها بالوف من الافدنة وترك كبار الشبان يعملون فيها واما الصغار والبنات فاعطوا اعمالاً اخرى . وكان يرسل كلَّ سنة من ١٠٠٠ الى ١٥٠٠ نفس من ملجإهِ الى كندا فيجدون لهم اعمالاً ويفلحون كلهم ما عدا ٢ في المئة على وجه التعديل

وفي يوليو الماضي نشرت جريدة التيمس عريضة بامضاء كثيرين من كبار رجال الدين

والسياسة والادب في لندن مثل اسقف لندن واسقف ستابني واللورد روبرتس والمسترستد صاحب مجلة المجلات وغيرهم وقد طلبوا فيها من الامة الانكليزية ان تقدم على الاكتتاب بالاموال لمساعدة ملاجئ برناردو تذكارًا لعيد ملادهِ وأرسلت اليهِ جلالة ملكة الانكليز رسالة برقية في يوم عيدهِ تهنئهُ بها وتدعو لعملهِ بالنجاح العاجل

وفي سبتمبر الماضي اصابتهُ نوبة قلبية ذهبت بحياتهِ فكتبت الملكة رسالة تعزية الى ارملتهِ. وعرضت جثتهُ فمرَّ من امامها الوف من عارفي فضلهِ والمعجبين بهِ . واحتفل بدفنهِ احتفال قلَّ نظيرهُ فمشى في مقدمة جنازتهِ الوف من الاولاد الذين في ملاجئهِ وقد صفوا صفوفًا عديدة على حسب سنهم ومشى خلف نعشهِ كثيرون من علية القوم ونخبة الامة الانكليزية ودفن مأسوفًا عليهِ . فيا سعد رجل يعيش ويموت في امة تعرف اقدار الرجال

اليزه ركلي

اليزه ركلي زعيم من زعماء الفوضويين وعالم من علماء العصر الذين يشار اليهم بالبنان وهو صاحب الجغرافية العمومية الجديدة التي صدرت في تسعة عشر مجلدًا كبيرًا . ولد سنة ١٨٣٠ ودرس على كارل رتر الجغرافي الالماني وكان من المتطرفين في الحرية فاضطرَّ ان يخرج

من فرنسا سنة ١٨٥١ واقام سبع سنوات في انكلترا واميركا حيث اتسعت معارفهُ بالاسفار ثم عاد الى فرنسا وانضمَّ الى الكومون فنفي منها بعد الحرب وعاد اليها لما صدر العفو العام سنة ١٨٧٩ وشرع في تأليف جغرافيتهِ الكبيرة وهو في المنفى. ولهُ كتب كثيرة من هذا القبيل مثل كتاب الارض في مجلدين كبيرين والظواهر الارضية وتاريخ جبل . ولهُ كتاب تركهُ من غير طبع في اربع مجلدات موضوعهُ التاريخ وتأثير الجغرافية فيهِ . وهو من نوابغ الكتاب ومن اكثرهم تدقيقًا

وقد كان كريمًا جوادًا تنطبق سيرتهُ على تعاليمهِ فاستعزَّ بهِ الاشتراكيون والفوضويون المعتدلون وكانت وفاتهُ في الرابع من شهر يوليو الماضي

قبل الولادة وبعد الموت

اين كانت نفوسنا قبلما وُلدنا واين تذهب بعد ما نموت أَوَ ليس لنا نفوس وكل ما فينا اجسام تتولَّد وتنمو ثم تموت وتنحلُّ وترجع عناصرها الى الارض التي أُخذت منها. هذه مسألة المسائل ومعضلة الفلاسفة وما من احد بلغ الخمسين او الستين الاَّ وقف واستوقف وقال الى اين نحن مسوقون اين كنا والى اين نمضي وما معنى هذا التعب وهذا الجهاد

الاديان المختلفة تحلُّ هذا السوَّال على اساليب مختلفة لا تخرج عن كونها حَدْسًا وتخمينًا او علمًا عاليًا غير مبني على الحس والمشاهدة . والذين يبحثون عن ادلة علميَّة لمعرفة ما كان الانسان عليهِ قبلما وُلد وما يصير اليهِ بعد ما يموت فئتان فئة تقول ان الوصول الى ذلك ضرب من المحال لان الشعور لا يوجد قبلما توجد آلتهُ وهي الجسم الحي ولا يبقى بعد ما تزول الحياة من ذلك الجسم . وفئة تقول ان في الجسم الحي روحًا وهذه الروح تنفصل عنهُ احيانًا فيبقى حيًّا وتغادرهُ عند الموت وتبقى جائلة الى ان تحلَّ في جسم آخر . ويدَّعون انهم وجدوا ادلَّة تؤيد ذلك فكأَنهم عادوا الى مذهب التقمص الذي قال بهِ القدماء ولا يزال الهنود يقولون بهِ الى الآن

وقد اطَّلعنا على مقالة للكولونل ده روشا نشرت في مجلَّة العلوم النفسية التي يحررها جماعة من اشهر علماء العصر مثل الدكتور داريه والاستاذ ريشه والسر وليم كروكس والمسيو فلامريون والاستاذ لمبروسو والاستاذ مورسلي والدكتور اوشروتز . وفي هذه المقالة وصف فتاة نوَّمها الكولونل ده روشا على اسلوب خاصّ فتنبَّهت ذاكرتها وصارت تتذكر احوالها الماضية قبل ان ولدت ولادتها الاخيرة وقبل ان ولدت الولادة التي قبلها وهلمَّ جرًّا وتنبَّأَت بما ستصير اليهِ بعد بضع سنوات وها نحن موردون خلاصة ما كتبهُ في هذا الشأْن لغرابتهِ لا لاننا نعتقد صحتهُ ثم نعقب عليهِ بما يبدو لنا قال

لا يخفى ان الانسان وهو في سكرات الموت قد تتنبَّه ذاكرتهُ فيتذكَّر امورهُ الماضية بدقة ولقد بيِّنت ان ذلك يمكن احداثهُ في بعض الناس بتنويمهم بواسطة الاشارات الطولية اي من الاعلي الى الاسفل فيصيرون يتذكرون ماضي حياتهم الى سن الصغر ثم اذا ايقظتهم بواسطة اشارات عرضية تقاطع الاشارات التي ناموا بها مرُّوا في تذكرهم من سن الصغر الى ان يبلغوا السن الذي هم فيهِ

وهذا الامر على غرابتهِ لم يدرَس حتى الآن الدرس الكافي ولكنهُ ليس الاَّ توسُّعًا في

امور محققة فلا يعدُّ شيئاً بالنسبة الى ما يحدث لو واصلنا الاشارات الطولية حتى يصل المنوَّم الى سن الطفولية ثم يتجاوزهُ الى ما قبل ولادتهِ وواصلنا الاشارات العرضية حتى يصل المنوَّم الى سن الشيخوخة فالهرم فالموت وما يتلوهُ فيُعرَف بالاشارات الاولى ماضي الانسان وبالاشارات الثانية مستقبلهُ . ويقال ان بعض الباحثين في هذا الموضوع في اسبانيا وليون تمكنوا من جعل بعض الناس يتذكَّرون احوال ماضيهم ويكتشفون احوال مستقبلهم ثم كرَّروا عليهم تلك الاشارات فتذكر كل منهم نفس ما تذكرهُ اولاً واكتشف نفس ما اكتشف اولاً دلالة على ان ذلك حقيقي جارٍ على نمط واحد

ولا استطيع ان اذكر كل ما ثبت لي بالعمل فاجتزي عنهُ بذكر ما رأيتهُ في فتاة عمرها ثماني عشرة سنة لم تسمع كلمة عن المغنتزم ولا عن السبرتزم واسمها ماري مايو وهي ابنة مهندس فرنسوي قضى جانباً من عمرهِ في بلاد المشرق في انشاء سكك الحديد ومات فيها فتزوجت امرأتهُ مهندساً آخر من مهندسي سكك الحديد وبقيت الابنة في مدينة بيروت الى ان صار عمرها تسع سنوات وكانت تتعلَّم في مدرسة للراهبات وتعلمت هناك مبادئ القراءة العربيَّة ثم أُتي بها الى فرنسا وكفلتها عمتها وكانت تسكن البروفنس

وبقيتُ امتحن التنويم في هذه الفتاة شهرين جارياً في ذلك على غاية الرفق والتأني وكنت انومها ومعي الدكتور برتران طبيب العائلة والمسيو لاكوست وهو مهندس صديق لزوج امها وقد فوَّضتُ اليهِ كتابة ما يراهُ ويسمعهُ ولم يكن هو والدكتور برتران رأيا احداً من هذا القبيل ولذلك كتب ما رآهُ غير ميَّال لتأييد امرٍ راسخ في ذهنهِ . وها خلاصة ما جرى

الجلسة الاولى في ٢ دسمبر سنة ١٩٠٤ . حاولتُ تنويم ماري مايو بالاشارات الطولية فشعرتْ بشيء من التخدُّر ثم ايقظتها باشارات عرضية مقاطعة للاشارات الاولى . وأُعدت ذلك بعد ربع ساعة فاوصلتُها الى الدرجة الاولى من درجات النوم المغنطيسي

الجلسة الثالثة في ٥ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى درجة المشي النومي (سمنمبولزم) فنامت وبقيت عيناها مفتوحتين وامتحنتُ فعل الموسيقى بها فطربتْ بصوت الغناء ولكنها لم تطرب بصوت البيانو

الجلسة الرابعة في ٦ دسمبر . اوصلتها في التنويم الى ان صارت ترى طيفاً منيراً خارجاً منها ولكن رؤيتها لهُ لم تكن جليَّة .

الجلسة الخامسة في ٧ دسمبر . نوَّمتها وجعلتها تمر في درجات التنويم المختلفة رويداً رويداً وكنت امتحن قوة شعورها وهي في كل درجة من هذه الدرجات فوجدتُ انها وهي في درجة

المشي النومي تبقى تتذكر ما كانت تعلمهُ وهي مستيقظة ولكن حينما تصل الى درجة الاتصال (الربور) لا تعود ترى غيري ولا تسمع غيري وبقيت تتذكر اسمي واسمها . ثم لما بلغت درجة الشعور بالاتصال صارت تشعر بكل ما اشعر بهِ انا اذا لمستها ولكنها تنسى كل ما كانت تشعر بهِ في الحالة السابقة

الجلسة السادسة في ٩ دسمبر . صارت ترى طيفاً جلياً قائماً بجانبها وقلتُ لها ان تتصوره بصورة امها فتصوَّرتهُ كذلك لكن لم يظهر في ذاكرتها شيءٌ من تذكُّر الماضي

الجلسة السابعة في ١٠ دسمبر . تمَّ انفصال الطيف عنها واقام الى جانبها وقلتُ لها ان تنقلهُ من مكانهِ فنقلتهُ وقلتُ لها ان تجعلهُ يخرق سقف البيت ويخرج منهُ فلم تستطع . وكانت ترى بينها وبينهُ حبلاً من النور ممتدًّا فوق رأسها فكلما لمستهُ تألَّمت من ذلك

الجلسة التاسعة في ١٢ دسمبر . درسنا في هذه الجلسة تأثير التنويم فيها حسب الوقت وكتب المسيو لاكوست الملاحظات التالية

الساعة ١ والدقيقة ٣٠ كانت مستيقظة لم تؤَثر الاشارات فيها

الساعة ١ والدقيقة ٣٣ امسك المسيو ده روشا بيديها واضعاً ابهاميهِ في راحتيها فشعرت كأنَّ سائلاً مرَّ في كل ذراع من ذراعيها ونامت بعد دقيقة من الزمان

الساعة ١ والدقيقة ٣٦ مرَّت من حالة السبات الى حالة المشي النومي وهي الحالة الثانية من حالات التنويم المغنطيسي على رأي المسيو ده روشا وكانت عيناها مفتوحتين وهي لا ترى ولا تشعر وبعد ثلاث دقائق ونصف دقيقة بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال (ربور) فكانت تأبى ان ترينا رجلها خجلاً ولكنها لا تأبى ان تدنو من المسيو ده روشا وتعتنقهُ

وفي الساعة ١ والدقيقة ٤٦ بلغت الدرجة الرابعة فنسيت اسمها وبقيت تخجل من اظهار رجلها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٠ بلغت الدرجة الخامسة والقت رأسها على كتف المسيو ده روشا لتستمد قوةً منهُ ونسيت اسمها ولكنها تذكرتهُ لما فرك المسيو ده روشا مارن انفها

وفي الساعة ١ والدقيقة ٥٦ رأت طيفاً عن يسارها فيهِ شيءٌ من الانارة

وفي الساعة ٢ والدقيقة ١ دخلت الدرجة السابعة فرأت طيفها عن يمينها وزال الطيف الذي كان عن يسارها وتذكرت انها رأت امها وهي في الدرجة السادسة ولكنها ابت ان تراها ثانية

الساعة ٢ والدقيقة ٤٠ تم تكوُّن الطيف وهو المسمَّى عندهم بالجسم الاثيري وحاول المسيو ده روشا اخراجهُ من الغرفة فكان يصل الى الجدار ويقف وقال لما يوان تمدَّ اليهِ يد

الطيف اليسرى فقرصهُ اي قرص الهواء فشعرت مايو بالقرصة

الساعة ٢ والدقيقة ١١ ايقظها بالاشارات العرضية المقاطعة للاولى فاستيقظت ولم تشعر بتعب وفي يمينها علامة القرصة التي قرص بها طيفها . انتهى

قال المسيو ده روشا ونوَّمتها في الثالث عشر من دسمبر وفتشت عن نقط الاستهواء في بدنها حيث يُسمح لي بالتفتيش عنها فوجدتها في رسغيها وفوق عينيها ووراء اذنيها وفوقهما وفي نحرها

ثم نوَّمتها في السادس عشر من دسمبر واوصلتها الى درجة اخراج الطيف منها فكانت ترى نصفهُ عن يمينها ونصفهُ عن يسارها ونظرتْ الى الطيف الذي عن يسارها فرأتهُ جانبيًّا وظهرهُ الينا اي انهُ مخالف لها في اتجاهها . ونوَّمتها في السابع عشر وابلغتها درجة الاتصال وكنت ادني شمعة مشتعلة من عينيها فلا تراها وادنيت من انفها قنينة مفتوحة فيها امونيا فلم يظهر انها شمَّت رائحتها ولكنني تنفست قليلاً في بخار الامونيا فشمَّت رائحتهُ حالاً . وطلبتُ منها ان تقبّلني فقبَّلتني في وجهي ولمست شفتيها قليلاً فنفرت مني مغضبةً

وتماديت في تنويمها فصارت ترى طيفها واقفًا بجانبها فقلت لها ان تجعل شكلهُ مثل شكلها وهي ابنة ١٨ سنة ثم وهي ابنة ١٤ سنة ثم وهي ابنة ١٢ سنة ثم وهي ابنة ١٠ سنوات وسألتها اين كانت حينئذٍ فقالت في مرسيليا وهذا صحيح ثم وهي ابنة ٨ سنوات وقالت انها في بيروت وصارت تتكلم عن ابيها وامها والذين تعرفهم من سكان بيروت ممن كان يتردد على بيت ابيها . وكان كل ذلك صحيحًا

ثم غيرت الاشارات وجعلتها تقاطع الاشارات الاولى فعاد طيفها اليها ولم يكن ذلك بالامر السهل . ثم ايقظتها تمامًا ولما استيقظت لم ارَ اختلافًا في قواها العقلية ولكنني خفت ان يظهر فيها اختلاف لانني اعدت طيفها اليها وهو في السنة الثامنة من عمرها فنوَّمتها ثانيةً واخرجت طيفها منها فوجدتهُ في السنة الثامنة من العمر فرددتهُ الى السنة الثامنة عشرة وارجعتهُ اليها وايقظتها

الجلسة الخامسة عشرة في ١٩ دسمبر . نومتها حسب العادة واوصلتها الى الدرجة الثالثة وادنى الدكتور برتران شمعة مشتعلة من عينيها فلم يظهر انها كانت تراها ولكنها اغمضت عينيها حالما التفتْ الى الشمعة . وادنى زجاجة امونيا من انفها وقلتُ لها ان تشمها فشمتها ولم تشعر بشيءٍ ولكنني لمست يدهُ وللحال ابعدت رأسها عن الزجاجة كأنها شمَّت رائحة الامونيا حينئذٍ. ولما بلغت الدرجة الرابعة نَسيتْ كل شيءٍ حتى اسمها واخذ طيفها يخرج منها . وبلغت الدرجة الخامسة فرأت الطيف عن يسارها وفيهِ نقط سوداء تقابل نقط الاستهواء في جسمها وقلت

لها ان تدل على نقطة تراها في طيفها في جبهتهِ فدلت على نقطة في جبهتها ولكنها رأت النقطة في الطيف الى الجهة اليسرى ودلت على نقطة في الجهة اليمنى من جبهتها . فوضعت مرآة امام الطيف فرأَتهُ فيها واصلحت خطأها ودلت على نقطة في الجبهة اليسرى من جبهتها . وتمَّ شكل الطيف لما بلغت الدرجة السابعة وصارت تراهُ امامها مواجهًا لها ومنحرفًا الى اليمين قليلاً وفقدت حينئذٍ كل حياء وحشمة ولم تعد تتذكر احدًا وسأَلتها كم عمركِ فقالت ١٨ سنة فقلت لها ان ترجع الى سن ١٦ فرأت جسمها يتغير حتى صارت كما كانت وهي ابنة ١٦ سنة . ثم طلبتُ منها ان ترجع الى ما كانت عليهِ وهي ابنة اربع عشرة سنة فاثنتي عشرة سنة فعشر سنوات وسأَلتها حينئذٍ اين تسكن فقالت في مرسيليا . ثم طلبت منها ان ترجع الى سن ٨ سنوات وسأَلتها اين هي فقالت في بيروت وسأَلتُ ما معنى كلمة بون جور بالعربية فقالت سلام عليك . ثم قلت لها ان ترجع الى السنة الرابعة وسأَلتها اين هي فقالت في مرسيليا . ثم الى السنة الثانية وسأَلتها اين هي فقالت في كوجه وهذا صحيح ايضًا . ولما وصلت الى السنة الاولى لم تعد تتكلم بل كانت تكتفي بالنظر اليَّ وبقولها نعم او لا . ولما ارتدَّت الى ما وراء ذلك بقيت تشعر بوجودها ولكن ليس في حالة محدودة ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى وجود آخر . ووقفتُ عند هذا الحد واعدتها الى حالتها الطبيعيَّة رويدًا رويدًا الى ان صار عمرها ١٨ سنة ولم اقف عندهُ بل تماديت في الاشارات العرضية وسأَلتها كم صار عمركِ الآن فقالت ٢٠ سنة فقلت لها اين انتِ الآن هل انتِ في اكس فقالت كلاَّ فقلت لها هل تتذكرين مسيو لاكوست ومدام لاكوست فقالت نعم وسأَلتها هل تتذكرين المسيو ده روشا فتبسمت وقالت نعم . واعدتها الى حالتها الطبيعية بالاشارات الطولية

الجلسة السابعة عشرة في ٢٢ دسمبر . نوَّمتها واعدتها الى سن ١٢ وقلت لها ان تكتب اسمها فكتبتهُ marie بحروف متساوية ارتفاعًا . ثم اوصلتها الى السنة الثامنة وطلبت ان تكتب اسمها فكتبت حرفين عربيين(١) ورددتها رويدًا رويدًا الى ان وصلت الى زمن ولادتها والى ما وراء ذلك ودار بيني وبينها المسائل التالية

س . من انتِ الآن

ج . امرأَة اسمها لينا

س . اين تسكنين

ج . لا اعلم

(١) (المقتطف) الحرفان يشبهان شد او شهد بخط قريب من الفارسي

س . هل انتِ حية او ميتة

ج . ميتة

س . كيف متِّ

فاجابت انها لم تمت بمرض بل بالماء غرقت واختنقت وورمت

س . هل كنتِ حاضرة في جنازتها

ج . كلاَّ لان جسمها لم يستخرج من الماء

س . هل تألمتِ من الانحلال في الماء

ج . كلاَّ لم اشعر بلذة ولا بالم

ثم رأيت ان اعيدها الى حالتها الحاضرة بالاشارات العرضية فارتدَّت رويدًا رويدًا الى ان دخلت جسم امها وهي حبلى وولدت ثانية ونمت حتى صار عمرها ١٩ سنة فسألتها اين هي الآن

ج . ليس هنا

س . اتعرفين في اي بلاد انتِ

ج . كلاَّ

واوصلتها الى سن ٢٠ سنة وسألتها اين انتِ الآن . فاشارت بيدها انها لا تعلم فقلتُ لها اين تكونين حينما يصير عمرك عشرين سنة فقالت لا اعلم ولكني ارى اناسًا ليسوا مثل الذين هنا

فقلت لها اني عازم ان اقدمك في السن اكثر فاكثر فاذا حدث لكِ شيءٌ مهمٌّ فاخبريني حتى اقف . صار عمركِ ٢١ سنة صار عمركِ ٢٢ سنة ألا تزالين هناك فقال لا وعادت بغتة الى سن ١٨ سنة وبقي طيفها عن يمينها فايقظتها ثم نوَّمتها وجعلتها تعود رويدًا رويدًا الى ما قبل ولادتها فاذا هي امرأة اسمها لينا ماتت غرقًا وصعدت في الهواء ورأت فيهِ كائنات منيرة ولكن لم يسمح لها بالتكلم معهم ولم تتألم ولا تعبت وهي في تلك الحالة ثم ارجعتها الى سنها الحالي وتقدمت بها الى ان صار عمرها ٢١ سنة فاذا هي تقطن بلادًا اهلها زنوج عراة ولم تتقدَّم عن ذلك بل عادت الى سنها الحالي

الجلسة الثامنة عشرة في ٢٣ دسمبر . نوَّمتها لاعرف ماضي حياتها بالتدقيق فعرفت منها ان المرأة لينا التي كانتها قبلما ماتت وولدت الولادة الاخيرة كانت زوجة صياد اسمهُ ايفون وكان لها ولد وحيد مات وعمرهُ سنتان وكسرت السفينة بزوجها فمات غرقًا فيئست من الحياة والقت

نفسها في البحرمن رأس شاهق واكل السمك جسمها . هذا من جهة ماضيها اما مستقبلها فرأت فيهِ انها وهي في التاسعة عشرة من عمرها تسافر مع امها وتقيمان في بلاد اهاليها سود عراة ولم ترَ شيئًا وراء ذلك . وبقيت لا تنوَّم الاَّ بارادتها

الجلسة التاسعة عشرة في ٢٤ دسمبر . نوَّمتها ورددتها الى الحالة التي كانت فيها لما كان اسمها لينا ورددتها الى ما وراء ذلك فعادت الى التيه ثم صارت رجلاً غير صالح وضربتُ يد طيفها بيدي حينئذٍ فاحمرَّت يدها الحقيقية

الجلسة العشرون في ٢٦ دسمبر . لا يزال الاحمرار في يدها حيث ضربتُ يد طيفها . وكانت ترى الطيف الذي الى يمينها احمر والطيف الذي الى يسارها ازرق اي انها كانت ترى طيفها نصفين احدهما الى يمينها وهو احمر والآخر الى يسارها وهو ازرق وكل نصف منهما جانب واحد منها ظهرهُ الينا ووجههُ الى ما وراءها كأَنهُ صورتها في مرآة جانبية

ثم جعلتها تتدرَّج في تاريخ ماضيها فكانت ترى طيفها يصغر كلما صغرت سنًّا حتى اذا صارت طفلة في بطن امها زال الطيف تمامًا وامتزج بالجو . ولما صارت لينا وماتت دخلت العتمة وحاولت ان تلتقي بزوجها وولدها فلم تلتقِ بهما . وكانت في زمن لويس الثامن عشر وقبل ذلك كانت رجلاً اسمهُ شارل موڤيل ابتدأَ كاتبًا في احدى نظارات باريس . وكان الناس حينئذٍ يقتتلون في الاسواق وقتل هو بعضهم لانهُ كان شريرًا ولما صار عمرهُ خمسين سنة مرض وترك منصبهُ ثم مات وسار طيفهُ في الجنازة وسمع الناس يقولون "لقد تمادى في الشر" وبقي في حالة غير راضية الى ان دخل جسم لينا

الجلسة الحادية والعشرون في ٢٧ دسمبر . نوَّمتها واوصلتها الى الدرجة السابعة فنسيت اسمها واسمي وصارت ترى نصف طيفها ازرق عن يسارها والنصف الآخر احمر عن يمينها واذا رفعت يدها اليمنى رأَت النصف الايسر من طيفها يرفع يدهُ والضد بالضد . واوصلتها الى الدرجة الثامنة فتم الطيف وعادت ذاكرتها اليها ولما بلغت السنة الاولى من تدرجها الى الوراء سألتها عما اذا كانت تتكلم فقالت لا فقلت لها كيف قلتِ لا وانتِ لا تتكلمين فقالت ان الذي اجابك هو انا ليس الشخص الصغير الواقف بجانبي . فقلتُ لها اذًا لستِ كلكِ في هذا الشخص الصغير. فقالت لا لان حول هذا الشخص ضبابًا منيرًا . فقلت لها أَوَ لا يوجد شيء آخر فقالت نعم يوجد شيء اخر وهو نفسي التي ترى الشخص الذي عمرهُ سنة والشخص الذي هو انا الآن

واعدتها الى ما وراء ذلك وسألتها في اي وقت دخل الطيف جسمها فقالت انهُ دخلهُ قُبيل ولادتها وكان قبل ذلك حول امها ثم كان قبل ذلك في العتمة

وردها الى ان كانت لينا حينما كان عمرها ١٥ سنة وكانت مع امها وهي لا تعرف اباها ولا اسم عائلتها ووراء ذلك كانت في الظلمة وهي في حالة الألم من توبيخ الضمير وكانت قبلها رجلاً اسمهُ شارل موفيل مات من برد اصابهُ وعمرهُ خمسون سنة . وحاول ارجاعها الى ما وراء ذلك فجعلت تسعل ثم ردها الى جسم لينا وتدرَّج في عمرها الى ان حانت وفاتها فابطأَ في الاشارات فانقطع نفسها وجعل جسمها يتمايل كأنها محمولة على ظهر الامواج وظهر عليها كأنها كادت تختنق فاسرع الاشارات وايقظها حالاً

الجلسة الثانية والعشرون في ٢٩ دسمبر . ووصفها منقول عن الدكتور برتران . قال ان المسيو ده روشا نوَّمها وتدرَّج الى ان بلغت الدرجة الثالثة اي درجة الاتصال فلم تعد ترى غيرهُ وطلب منها ان تعود الى سن ١٦ فقالت انها عادت . ثم اوصلها الى الدرجة الرابعة ولم تعد تشعر الاَّ في الغشاء المخاطي كما في لسانها وشفتيها وفي كتفيها . ولما وصلت الى الدرجة الخامسة ظهر طيفها كغيمتين منيرتين في شكلين جانبيين احدهما ازرق وهو عن يسارها والآخر احمر وهو عن يمينها . وفي الدرجة السادسة التحم الطيفان وصارا طيفاً واحداً نصفهُ احمر ونصفهُ ازرق ووقف امامها وكانت ذاكرتها قد ضعفت فقويت بغتةً وامرها حينئذٍ ان تجعل طيفها يرتفع فارتفع ولكنها لم تستطع ان تجعلهُ يخرق السقف وكانت تشعر باقل حركة تحركها يدهُ فوق رأسها وفسر ذلك بان طيفها متصل بها بحبل اثيري ممتد فوق رأسها . ثم اعادها الى سن ١٨ واوصلها الى سن ٢٠ ودار بينهُ وبينها الحديث التالي

س . في اي بلاد انتِ

ج . لا اعلم

س . مع مَن انتِ

ج . مع زوج امي

س . وبعد ذلك

ج . مع الزنوج

ثم قال امشِ معي فاني اريد ان تصيري ابنة ٢١ سنة ثم ابنة ٢٢ سنة . فلم تتقدم عن سن ٢٠ سنة ثم قالت انها مع الزنوج في بيت بعيد عن محطة سكة الحديد . فاعادها الى سن ١٨ فسن ١٦ و ١٤ و ١٢ و ٨ و ٥ و ٢ . ولما صارت في سن سنتين قالت انها لا تعرف ان تتكلم

وسألها عن نفسها فقالت انها مثل لسان الشمعة بين جسمها الحالي والطيف الصغير الذي صارتهُ ثم دار بينهما الحديث التالي

هو — ارجعي الى بطن امكِ ماذا اصاب الجسم الصغير الآن

هي — اختلط

هو — اين انتِ الآن

هي — لا اعلم ولا ارى شيئًا ولكنني اشعر بشيء متحرك

هو — عودي الى حالتكِ الحاضرة كيف شعرتِ لما ولدتِ

هي — تجسَّم طيفي حينما قُطع الحبل السري

هو — ارجعي الى بطن امكِ واخرجي منهُ ولا يزال حبلك السري متصلاً فهل تتنفسين

هي — كلا

هو — قُطع الحبل السري فهل تتنفسين الآن

هي — نعم

هو — عودي الآن الى العتمة

ثم قال لها يجب ان تصيري كما كنتِ وقتما غرقتِ . وللحال دارت على جانبها الايمن ووجهها بين يديها وبقيت كذلك بضع ثوانٍ . ثم دارت على جانبها الايسر وصار تنفسها صعبًا وبانت على وجهها دلائل الاضطراب والخوف وصار حلقها يتحرك كمن يبلع الماء غصبًا عنهُ ونطقت بالفاظ لم نفهمها وجعلت تتململ وبانت على وجهها علامات الالم الشديد فامرها ان تتقدَّم عن ذلك بضع ساعات ثم قال لها هل اتعبكِ النزع . فقالت نعم

واشار بعض الاشارات العرضية وقال لها اين انتِ الآن فقالت في العتمة

ولم تعد تتذكر شيئًا مما جرى لها ولا غرقها . ووالى الاشارات العرضية فتقدَّمت الى سن ٢ و ٦ و ١٠ واخيرًا بلغت سن ١٨ وهو سنها الحالي وايقظها فيهِ

الجلسة الثالثة والعشرون في ٣٠ دسمبر . مما كتبهُ الكومندور رميس رئيس الجمعية الثيوصوفية في مرسيليا

عمر الفتاة ١٨ سنة وهي متعلمة متهذبة مستكملة الصحة جسدًا وعقلاً لا تتعب من التنويم . حالما اشار اليها الكولونل ده روشا بالاشارات الطولية نامت وتنقلت في درجات التنويم . وحالما نامت فقد جسمها الشعور ولم يعد يشعر الا بعد ان تجرَّد طيفها منها . والطيف يخرج منها رويدًا رويدًا في طبقات سائلة يمتزج بعضها ببعض على مقربة منها واذا فُرِض

شعر جسمها بالقرص . ولم تعد ترى احداً غير الكولونل وكنت واقفاً امامها على نحو متر منها فلم ترَني ولكن الكولونل لمسني فوصلني بها وللحال صارت تراني اي انها صارت تشعر بواسطتهِ وادنيت من انفها زجاجة فيها امونيا فلم تشعر برائحتها ثم ادنيت هذه الزجاجة من انف الكولونل فشعرت هي برائحتها ونفرت كأنَّ الزجاجة امام انفها وقد شعرت برائحتها

ولما كمل تجريد طيفها منها قام وحدهُ على نحو متر منها ورأتهُ عن يسارها ممزوجاً من لونين ازرق واحمر وهو متصل بها بحبل سائل في ثخانة الاصبع . ومددت يدي الى هذا الظيف فشعرتُ بهِ بارداً . ثم امرها ان تقسم الطيف الى قسمين فقسمتهُ الى قسمين احمر وازرق واقام القسم الاحمر عن يمينها والازرق عن يسارها ثم مزجت القسمين معاً واوقفتهما عن يمينها وكان الكولونل يقرص الهواء في المكان الذي ترى فيهِ الاتصال بينها وبين طيفها فتشعر بالقرص وتبعد الى الوراء . وطلبتُ منها ان ترفع الطيف فارتفع الى ان وصل الى السقف ثم طلب منها الكولونل ان تنزلهُ وتوقفهُ عن يمينها ففعلت وامرها ان تتدرَّج في ماضي حياتها فتدرَّجت رويداً الى حين ولادتها ثم الى ما وراء ذلك . ولما بلغت السنة السادسة عشرة من العمر سألها هل تعرفين الكولونل ده روشا فتبسمت وقالت لا كأنها تقول لم اكن اعرفهُ حينئذٍ . وظهرت عليها دلائل الاستحياء حين صار عمرها ست سنوات فاذا لمست ركبتها وعمرها ست سنوات خجلت ومدَّت يدها لتدفع بها اليد التي لمستها واما اذا لمست ركبتها وعمرها خمس سنوات لم تفعل ذلك . ولما كان عمرها ١٢ سنة قالت انها كانت لا تزال في بيروت ولم تكن تعرف اللغة الفرنسوية بل تعرف العربية . ولما بلغت سن الولادة فارقها طيفها لكنها رأتهُ محيطاً بامها كأنهُ سحابة من مادة سائلة وكانت قبل ذلك في العتمة لا تتألم ولا ترى شيئاً حولها ولكنها تشعر ان حولها خلائق اخرى لا تعلم ماهيتها . ثم اجتازت هذه الحالة بألم شديد (لانها ماتت غرقاً) وظهرت في بريتني امرأة اسمها لينا زوجة رجل صيَّاد

واجتازت عمر هذه المرأة وعادت الى الظلمة حيث كانت تتألم وكانت قبل ذلك رجلاً شريراً اسمهُ شارل موفيل مات وعمرهُ خمسون سنة ووصلت الى حين ولادتهِ ولم تتجاوزها فسألها الكولونل المسائل التالية

هو — اين ولدت

هي — في باريس

هو — في اي عهد

هي — في عهد الملكية

هو — انت الآن في السنة الثلاثين من عمرك فاين انت وماذا تفعل

هي — في باريس في احد الدواوين

هو — ما هو عملك

هي — لا اعلم

هو — اكتب اسمك

فامضت اسمها شارل موڤيل

هو — من المتسلط على فرنسا الآن

هي — كثيرون

هو — انت من حزب الثورة بلا شك

فلم تجب لكنها تبسَّمت

هو — لا بدَّ من انك كنت راضياً بقتل الملك والملكة

هي — الملك نعم واما الملكة فلا

هو — انت الآن في الخمسين من عمرك وقد دنا الموت منك

فاصابها سعال وضيق نفس شديد كما يصيب المصدورين

هو — اكان وراء النعش كثيرون

هي — كلاَّ

هو — هل قالوا انك كنت رجلاً شريرًا

هي — نعم (قالت ذلك بصوت منخفض بعد ان ترددت عن الجواب هنيهة)

ثم انتقلت الى الظلمة وتقمصت ثانية في بريتني وولدت ابنة وتقدَّمت في السن الى ان صار عمرها ١٨ سنة فتزوجت وتمخَّضت وولدت ابناً وظهرت عليها كل آلام المخاض حتى اضطرَّ الكولونل ان يجعلها تجتاز ذلك بسرعة ثم صار عمرها ٢٢ سنة فغرق زوجها ومات ابنها ويئست من الحياة فالقت نفسها في البحر ولما كان الغرق مؤلماً لها جعلها تجتازهُ بسرعة فانتقلت الى العتمة ولم تتألم فيها كما تألمت لما كانت في الظلمة بعد موتها وهي شارل موڤيل . وتقمَّصت اخيرًا في جسمها الحالي فايقظها لما بلغت السن الذي هي فيهِ

وسنأتي على تتمة هذا البحث في الجزء التالي ونشفعهُ بما يبدو لنا من التعاليل

الري في اعالي النيل

من مقالة للسر وليم جارستن مستشار نظارة الاشغال العمومية
نشرت في مجلة القرن التاسع عشر

قسمت هذا الموضوع قسمين ضمنتُ الاول منهما وصفاً مختصراً لمجرى النيل من منبعهِ الى مصبهِ والثاني وصف المشروعات التي يراد عملها للتحكم بهِ وضبط مياههِ من مخرجهِ الى مصبهِ في بحر الروم . ولما كان النيل بين مخرجهِ من بحيرة فكتوريا واقترانهِ بالبحر الازرق عند الخرطوم مختلف الاسماء باختلاف شعبهِ وفروعهِ المتعددة مثل نيل فكتوريا وبحر الجبل وبحر الزراف فسأُعدّي عن هذه الاسماء الى اسمهِ المشهور وهو "البحر الابيض" طلباً للبسط وهرباً من الغموض والابهام

لا يخفى ان النيل شمالي الخرطوم موَّلف من فرعين كبيرين يقترنان على مسافة قصيرة منها وهما البحر الازرق والبحر الابيض والاول يجري من الجنوب الشرقي والثاني من الجنوب وكلاهما يستمدُّ ماءهُ من بحيرات كبيرة واقعة في صُعُدٍ ترتفع كثيراً عن سطح البحر. فالبحر الازرق منبعهُ بحيرة تسانا في صعيد الحبشة الشمالي والابيض بحيرة فكتوريا نيانزا في صُعُد اوغندا على خط الاستواء وبحيرتا أَلبرت ادورد نيانزا والبرت نيانزا فيخرج من من الاخيرة ويجري الى الشمال نهراً واحداً

ويختلف البحر الازرق والبحر الابيض الواحد عن الآخر كلَّ الاختلاف ولكلٍّ منهما شأن عظيم في انتظام الفيضان السنوي بين ارتفاعهِ وهبوطهِ ولكن البحر الابيض اعظم شأناً وعليهِ يتوقف عمران البلاد التي الى واديهِ الشمالي . اما البحر الازرق فانهُ وان كان كثير الطمي الذي لاغنى عنهُ لخصب مصر فهو متقلّب في اطوارهِ فيضنُّ بالماء والحاجة اليهِ شديدة ووجه الارض يُقلى بجمر الشمس صيفاً

واهمُّ اوجه الفرق بين البحرين في مجراهما ان البحر الازرق ينحدر من صُعُد الحبشة الى بلاد جبلية كثيرة الغياض والسيول ويجري في وادٍ عميق لم يستطع السياح تتبعهُ من اولهِ الى آخرهِ تتخللهُ شلالات كثيرة الانحدار ذات قاع صخري . ومتى بلغ نصف الطريق انساب في بلاد سهلية جبلية . وينضم اليهِ في اثناء جريهِ انهر عديدة من صعيد الحبشة الغربي واكثرها غدران تسيل وتطمُّ ثم تنضب

واذا كان واطئاً رأيت ماءهُ صافياً نقيًّا من شوائب الاكدار ينعكس عنهُ وجه السماء

كما من مرآة فيظهر لونهُ مزرقًا . ولكن في زمن الفيضان يكثر الطمي فيهِ فيخرج لونهُ مثل القهوة . وهذا الطمي هو السبب في خصب تربة مصر الذي اشتهرت بهِ من قديم الزمان . والفرق بين مقدار الماء في البحر الازرق فائضًا وبينهُ فيهِ غائرًا عظيم جدًّا لان مقدارهُ في الحالة الاولى ستون الى سبعين ضعف مقدارهِ في الثانية

اما البحر الابيض فيختلف عن الازرق من جميع الوجوه فانهُ يجري اولاً في بلاد جميلة المناظر الطبيعية . وبحيرة فكتوريا التي يستمد ماءهُ منها يصبُّ فيها عدة انهر اهمُّها نهر كاجيرا وموقع هذا النهر في بلاد قاحلة مغطَّاة بالمواد البركانية تتخللها سلسلة براكين صغيرة منها ما هو ثائر الى الآن . وهذه البلاد يكتنفها الضباب معظم السنة وقمم البراكين الخامدة تملأُ ارضها في كل ناحية . وكلما اقتربتَ من البحيرات انقشع الضباب وصارت المناظر الطبيعية اجمل منها في البلاد الاولى . فان في بحيرة فكتوريا جزرًا عديدة يعلو النبات شواطئها وينعكس لونهُ عن وجه الماء فيزيد المنظر رونقًا وبهاءً . واما بحيرتا أَلبرت ادورد وأَلبرت فتختلفان كلَّ الاختلاف عن بحيرة فكتوريا فان حولها بلادًا قفراءَ والجبال تكتنفهما من كل جانب وبينهما صعيد من الارض فيهِ جبال رونزوري يغطي الثلج قممها على مدار السنة وهي جبال القُمْر المشهورة في التواريخ وقصص الاقدمين. وفي هذا الصعيد سهول ونجود واكام تغطيها الاشجار والانجم كأنها روضة غناء فيها مسارح الظباء ومضارب اقوام اغرب ممَّا فيها من انواع الحيوان

وبعد ما يخرج البحر الابيض من بحيرة أَلبرت يجري في ارض كثيرة الشلالات تكسب منظرهُ جمالاً وجلالاً او ينساب بين اكام تكسوها الاشجار ويبقى كذلك مسافة تعادل ربع طولهِ ثم يتغير تغيرًا عظيمًا اذ يدخل ارض المستنقعات الكبيرة فتقلُّ سرعتهُ ويتسع مجراهُ ويقلُّ عمقهُ ويصير قاعهُ وحلاً بعد ما كان صخرًا وتكثر تعاريجهُ الى الدرجة القصوى ويتغير لون مائهِ فيصير مخضرًّا . وفي هذه المستنقعات موقع السدّ المشهور الذي عاق ماء النيل عن الجري في الزمان الماضي فأُزيل حديثًا بمساعي زمرة من الضباط الانكليز . ومساحتها الوف من الاميال المربعة يعلوها القصب والبردي في معظم نواحيها ويكثر فيها البعوض وتتخللها برك قريبة القعر يتحلب اليها ماء النهر واسم النهر هناك بحر الجبل ثم يتبخر منها بسرعة عظيمة فيفقد النهر بهذا التبخُّر وبامتصاص النباتات المائية جانبًا كبيرًا من مائهِ حتى اذا خرج من المستنقعات كان مقدارهُ حينئذٍ جزءًا من ٥٠ الى ٨٥ من مقدارهِ عند دخولهِ اليها . وضياع هذا القدر العظيم من الماء من اشهر مزايا البحر الابيض او بحر الجبل بنوع اخصّ . ومهما

يكن الماء في بحيرة ألبرت عالياً او مقدار الماء الذي ينصبُّ في بحر الجبل من الانهر الصغيرة كثيراً فان مقدار الماء الذي يخرج من بحر الجبل بعد مروره في السدّ واحد على مدار السنة وفي كلّ الاحوال . فمنع ضياع الماء هذا هو المشكل الكبير الذي يحتاج الى الحلّ فيما يختصُّ بالنيل

هذا وان بحر الجبل او القسم المعروف منهُ بالبحر الابيض يصب فيهِ نهران كبيران عدا الانهر الصغيرة الواحد غربي واسمهُ بحر الغزال والآخر شرقي واسمهُ نهر السبَت وهما يختلفان اختلافاً عظيماً من حيث تأْثيرها في الفيضان. فبحر الغزال يجري من الصعيد الواقع بين النيل واوغنده وتصبُّ فيهِ نهيرات عديدة ويمرُّ في سلسلة مستنقعات طولها مئتا ميل قبل التقائهِ ببحر الجبل فتمتصُّ ماءَهُ كما تمتصُّ الاسفنجة الماء حتى اذا بلغ بحر الجبل او اوائل الابيض لم يبقَ منهُ سوى بحيرة ماء عميقة راكدة يعلوها القصب والبردي فما لا يتبخَّر منها يتحلَّب الى البحر الابيض عند انخفاض مائهِ

واما الفرع الشرقي اي نهر السَّبَت فعليهِ يتوقف معظم الفيضان في مصر فانهُ نهر جبلي ينبع من صعيد الحبشة الجنوبي وينخفض ماؤُهُ في بعض الفصول حتى يكاد يغور ويجفُّ ولكن سيلهُ يطمو نحو ستة اشهر وينحدر بشدة فاذا بلغ ربا هُ بلغ مقدار الماء الذي يصبُّهُ في البحر الابيض نحو ثلاثة اضعاف الماء الذي يجري اليهِ من البحيرات الاستوائية بطريق بحر الجبل . ويكون ماؤُهُ اذ ذاك كدراً مبيضاً ومنهُ اسم البحر الابيض

وقبل البحث في المشروعات المختلفة التي ينظر فيها للتحكم بماء النيل في اعاليهِ لا بدَّ لي من كلمة في وصف البحيرات والانهر المتعددة التي يتكوَّن النيل منها متوخياً الايجاز ما امكن لاسباب منها اولاً ان التطويل غير مقصود في عجالة مثل هذه . وثانياً ان المعلومات في هذا الصدد قاصرة محدودة . وكلُّ سنة تمرُّ تزيد معرفتنا من هذا القبيل وتمكننا من فهم احوال النيل شيئاً فشيئاً . اما البحيرات فكلُّ الدلائل الحديثة تدلُّ على ان فائدتها من حيث خزن الماء اقلُّ مما كان يظنُّ قبلاً وان ارتفاع الماء وانخفاضهُ فيها كلَّ سنة يتوقفان في الاكثر على وقوع المطر فيها وتبخُّر الماء منها لا على الانهر التي تصبُّ فيها او الماء الذي يستمدهُ النيل منها

وعلى ذلك فان بحيرة تسانا مصدر البحر الازرق لا تؤثر في مقدار الماء الذي يتدفق منهُ تأْثيراً كبيراً على ما يظهر ولا يؤثر ذلك المقدار في ارتفاع مائها وانخفاضهِ في فصل من فصول السنة لانهُ ليس شيئاً مذكوراً في جنب الماء الذي يجري الى البحر الازرق من

الانهر التي تصب فيهِ مثل الدبوس والدسا والرهد ودندر

هذا ولنرجع الى البحر الابيض فنقول ان مصدرهُ الحقيقي بحيرة فكتوريا نيانزا ولكن مقدار الماء الذي يخرج منها يقلُّ كثيراً بعد مرورهِ في مستنقعات بحيرة تشوجا حتى ان ما يبلغ منهُ بحيرة ألبرت نيانزا ويصبُّ فيها يكاد يكون واحداً على مدار السنة مهما ارتفع الماء فيها او انخفض . ولست اعني بهذا القول ان مقدار الماء الذي يجري الى بحيرة البرت في النهر الواصل بينها وبين بحيرة فكتوريا (نهر فكتوريا) واحد بل ان المقدار الذي يصل اليها من بحيرة فكتوريا فقط هو واحد تقريباً . فان المطر يهطل غزيراً في البلاد الواقعة شمالي بحيرة تشوجا فيزيد مقدار الماء الذي يدخل بحيرة ألبرت

وعلى علو الماء في بحيرة البرت يتوقف مقدار الماء في البحر الابيض على الغالب. فان كانت بحيرة فكتوريا مصدر النيل الحقيقي فبحيرة ألبرت خزانهُ الحقيقي وقنطرة موازنتهِ لانها تمدُّهُ بالماء وتحدد مقدار ما تمدُّهُ بهِ منهُ . وهي تستمدُّ ماءها من بحيرة فكتوريا بواسطة نهر فكتوريا ومن بحيرة ألبرت ادورد بواسطة نهر سمليكي . وهذا النهر يستمد ماءهُ من بحيرة البرت ادورد ومن الثلج الذائب في قمم جبال رونزوري

وللمطر فصلان في صعيد اوغندا الاول من شهر مارس الى شهر يونيو والثاني من اكتوبر الى يناير . ويكون الماء في بحيرة فكتوريا على اكثرهِ في اواخر مايو وعلى اقلهِ في سبتمبر . وفي بحيرة البرت يرتفع تدريجاً مدة الصيف كلهِ ولكنهُ يبلغ اكثرهُ في نوفمبر او دسمبر واقلهُ في اواخر مارس . وارتفاع الماء المستمر مدة الصيف في هذه البحيرة هو الذي يؤَهلها لأَن يقام فيها خزَّان للماء في المستقبل

اما المطر في اعالي النيل فيغزر في اواخر الخريف ثم في يوليو واغسطس فيملأُ المسايل والغدران التي تصبُّ في النيل بعد خروجهِ من بحيرة فكتوريا . ومتى اخذ ماء بحيرة البرت ينخفض وغاض ماء الغدران ينخفض النيل ايضاً حتى يبلغ اقلهُ في مارس او ابريل . ثم يأخذ ماء البحيرة يرتفع وماء النيل يزيد بما يقع من المطر الغزير في يوليو واوغسطس فتمتلئُ الغدران وتصبُّ فيهِ فيبلغ اكثرهُ في سبتمبر . ولكن تأثير هذه الغدران اقلُّ كثيراً من تأثير البحيرة فيهِ كما يستدلُّ من الادلة الحديثة فاذا كان الماء في البحيرة عالياً في اواخر السنة كان ماء بحر الجبل غزيراً في صيف السنة التالية والفيضان حسناً على الغالب . وبضدِّ ذلك اذا كان ماء البحيرة منخفضاً في دسمبر فان ماء بحر الجبل في الصيف التالي يكون دون المتوسط والفيضان رديئاً مهما امتلأَت الغدران وطمت

واني اوجه الانظار بنوعٍ خاصٍ الى هذا الامر اذ على بحيرة ألبرت يتوقف حلُّ المسألة المهمة ألا وهي الحصول على قدر كافٍ من الماء كل سنة للزراعة الصيفية . ومعلوم اني اذا قلت ان الفيضان حسن او رديء فانما أُشير الى مقدار الماء الذي يصل الى المستنقعات الكبيرة

***

اذا اتضح ما تقدم فقد اصبح من السهل فهم علاقة كل نهر من الانهر التي يتكون النيل منها بالفيضان كل سنة . ففي شهري ابريل ومايو يكون ماء هذه الانهر على اقله فلا يتجاوز الخرطوم منهُ الاَّ ما تحلَّب من مستنقعات البحر الابيض مضافًا اليهِ قدر صغير من ماء البحر الازرق . وفي يونيو يقع المطر في بلاد الحبشة فيفيض البحر الازرق ويتعاظم في يوليو ويبلغ معظمهُ في اغسطس ثم يهبط سريعًا في سبتمبر . ويأخذ الاتبره يرتفع في يونيو ويبلغ رباهُ في اغسطس او قبل البحر الازرق بقليل ثم يهبط سريعًا في سبتمبر ويجف في اشهر الشتاء . واما البحيرات الاستوائية فيخرج منها مقدار قليل مستمرٌّ يتحلَّب من المستنقعات الكبيرة بواسطة بحر الجبل وبحر الزراف . وعليهِ فالفيضان في البحر الابيض يتوقف كلهُ على نهر السُّبت . فان هذا النهر يغزر عادةً في شهر يونيو ويأخذ يتعاظم بعد ذلك حتى يبلغ معظمهُ في سبتمبر او اكتوبر ثم يهبط سريعًا. واذا زاد مقدار الماء الذي يصبهُ في البحر الابيض توقف الماء الذي يتحلَّب اليهِ من المستنقعات عن النزول واخذ يعلو فيها حتى تبيت غامرة على مسافة طويلة ويخزن الماء فيها فلا ينصرف منها حتى يهبط نهر السبت. وماء السبت يصب في البحر الابيض من يوليو الى اكتوبر وعليهِ يتوقف ما يصل الى الخرطوم من الماء بالبحر الابيض في هذه المدة

اذًا فالماء الذي يمرُّ بالخرطوم مدة شهر يوليو ويتزايد كل يوم يجيء من البحرين الازرق والابيض وينضم اليهِ ماء الاتبره . وهذه الانهر الثلاثة سبب الفيضان السنوي في القطر المصري . وفي شهر اغسطس يزيد تأثير النهرين الشرقيين (الازرق والاتبره) زيادة ظاهرة فيبلغ مقدار الماء الذي ينصب من البحر الازرق حينئذٍ عشرة اضعاف ما ينصبُّ من البحر الابيض ويفعل البحر الازرق بالبحر الابيض ما يفعلهُ نهر السبت بهِ ايضًا كما تقدم ولكن على قدر اعظم جدًّا . اي انهُ اذا بلغ فيضان البحر الازرق حدًّا معلومًا عند الخرطوم أوقف ماء البحر الابيض عن الجري فيأخذ ماء البحر الابيض يعلو ويتعاظم حتى يفيض عن جانبيهِ على مسافة مئات من الاميال جنوبي المقرن ويبقى الماء مخزونًا على تلك الحال حتى يقلَّ فيضان البحر الازرق عن الحدّ المشار اليهِ وذلك يكون في سبتمبر غالبًا فيأخذ ماء البحر الابيض يجري شمالاً . وكلما قلَّ الماء في البحر الازرق حلَّ ماء البحر الابيض محلهُ وبقي يجري شمالاً

بمقادير متزايدة حتى اواخر السنة . وكذلك اذا قلّ الماء في نهر السبت فان الماء المخزون في البحر الابيض فوق ملتقى النهرين ينصرف شمالاً ويضاف الى الماء المخزون فيهِ فوق المقرن . وفي شهر نوفمبر يقلُّ الماء في نهر السبت جدًّا فيعود البحر الابيض يستمدُّ معظم مائهِ من البحيرات الاستوائية . والماء المخزون في الخزانين المشار اليهما كثير جدًّا الى حدٍ ان الماء الذي يمرُّ بالخرطوم شمالاً في اشهر الشتاء الاولى اعظم مقدارًا من الماء الذي يجلب من البحيرات الى البحر الابيض مارًّا في المستنقعات الكبيرة

***

ولننتقل الآن الى الكلام على ما تحتاج مصر والسودان اليهِ من الماء فأقول :—

لا يخفى ان في القطر المصري نظامين للريّ وهما ري الحياض والري الصيفي فالاول قديم من عهد الفراعنة وطريقتهُ ان يطلق ماء الفيضان على الاطيان ثم يصرف عنها وتزرع . وطريقة الثاني ان تروى الاطيان على مدار السنة عند الحاجة الى ريها بواسطة ترع يجري الماء فيها بالقسط فيتسنَّى بهذه الطريقة زرع القطن وقصب السكَّر . والاطيان التي تروى ريًّا صيفيًّا يزيد ثمنها زيادة عظيمة على ثمن الارض التي تروى ري الحياض فقط . فبناء على ذلك وجهت مصلحة الريّ المصريَّة جلّ همها واهتمامها الى تدبير الطرق اللازمة لزيادة المياه في زمن التحاريق اي في الاشهر التي قبل اشهر الفيضان لكي تزيد مساحة الاطيان التي تزرع صيفًا

اما من جهة ما يحتاج اليهِ القطر المصري من الماء فاقول انهُ يؤْخذ من احدث التقديرات ان مجموع مساحة الاطيان التي يمكن زرعها في القطر المصري ثمانية ملايين فدان منها نحو مليون فدان من الاطيان البور . ونصف مليون فدان لا تصلح للزراعة . ونصف مليون اخرى على حدود الصحراء جنوبي القاهرة لا يمكن ارواؤُها الَّا ري الحياض . فتهبط مساحة الاطيان الزراعية بذلك الى سبعة ملايين فدان منها اربعة ملايين تزرع الآن زراعة صيفيَّة وفي آخر سنة ١٩٠٨ تصير مساحتها اربعة ملايين ونصف مليون اي يبقى مليونان ونصف تحتاج الى زيادة الماء لاجل الري الصيفي . وقد ابان الاختبار ان الف مليون متر مكعب من الماء المخزون يكفي لارواء نصف مليون فدان صيفًا وعليهِ فالمليونان ونصف تحتاج الى خمسة آلاف مليون متر مكعب من الماء

ومسألتنا الآن كيف يمكن الحصول على هذا القدر من الماء . فانهُ اذا أُعلي خزان اصوان خزن من الماء ما يكفي نصف مليون فدان اخرى فتبقى ثمة حاجة الى اربعة آلاف مليون من الامتار المكعبة . ولسدّ هذه الحاجة اقترح البعض جعل وادي الريّان خزانًا . ولا يستبعد ان

يستخدم ذلك الوادي لهذا الغرض في المستقبل ولكن يستصوب الآن نظرًا الى موقعهِ ان يترك حتى تضطر الحال الى استحياء البحيرات التي تتاخم الدلتا شمالاً وزرعها في مستقبل الزمان والمرجح ان تبنى خزانات تسع الاربعة آلاف مليون المشار اليها في وادي النيل بين الشلال الثاني والسادس . ولا يمكن الجزم بهذا الامر قبلما يتمّ مسح الشلالات . على انهُ لو امكن بناء تلك الخزانات ما امكن ان تملأ ماء ما لم يزد الماء الذي يجري في النيل شتاء من الجنوب زيادة عظيمة . والمسؤولون عن الريّ في مصر يعلمون علم اليقين انهُ اذا أُعلي الخزان كما هو في النية أمكن ان يخزن فيهِ الف مليون آخر فقط من الماء في الاحوال الحاضرة وفي سنة فيضانها قليل . واذا تمّ ذلك لحق بالملاحة بين مصر واصوان ضرر عظيم مدة الشتاء . فلا غنى اذًا لوجود الماء المطلوب عن اكتشاف طريقة لزيادة الماء في اعالي النيل مدة الشتاء والربيع واوائل الصيف

ستأتي البقية

الاحتضارات والقبريّات

بقلم عيسى افندي اسكندر المعلوف مدرس آداب اللغة العربية والخطابة في الكلية الشرقية في زحلة (لبنان)

ولما حضرت النبي الوفاة بكت فاطمة فقال لا تبكي يا بنتاهُ قولي اذا متّ "إنّا لله وإنّا اليهِ راجعون فان لكل انسان مصيبة معوَّضة" — قالت ومنك يا رسول الله . قال "ومني" ويروى انهُ لما تراكدت[1] عليهِ كُرَب الموت وفاطمة بين يديهِ رفع رأسهُ وقال "واكرباهُ" فبكت فاطمة وقالت — واكرباهُ لكربك يا أبتاهُ — قال : "لا كرب على ابيك بعد اليوم" وتوفي سنة ١١ هـ (٦٣٢ م)

وروي أن أبا بكر حين حضرتهُ الوفاة كتب عهدهُ وبعث بهِ مع عثمان بن عفان ورجل من الأنصار ليقرأهُ على الناس . فلما اجتمع الناس قاما فقالا : هذا عهد ابي بكر فان تقرُّوا بهِ نقرأهُ وان تنكروهُ نرجعهُ فقال : "بسم الله الرحمن الرحيم هذا عهد ابي بكر بن ابي قحافة عند آخر عهدهِ بالدنيا خارجًا منها واوَّل عهدهِ بالآخرة داخلاً فيها حيث يؤمن الكافر ويشقى الفاجر ويصدق الكاذب اني امرتُ عليكم عمر بن الخطَّاب فان عدل واتَّقى فذاك ظني بهِ ورجائي فيهِ وان بدَّل وغيَّر فالخيرَ اردتُ ولا يعلم الغيب الَّا الله اه" توفي سنة ١٣ هـ (٦٣٤ م)

(١) لعلها بمعنى تتابعت او سكنت

ولما احتُضر عمر بن الخطاب قال لولدهِ عبدالله " ضع خدّي على الأرض علّ ربي ان يتعطَّف عليّ ويرحمني " ثم لفظ أنفاسهُ بعد قليل سنة ٢٤ هـ (٦٤٤ م)

ولما عاين عثمان بن عفان القتل وايقن بهِ كتب الى عليّ بن ابي طالب " اما بعد يا أبا الحسن فقد بلغ السيل الزُّبى(١) وجاوز الحزام الطبيين(٢) فاذا أتاك كتابي فأقبل اليّ عليّ كنت ام لي ثم تمثل ببيت العدوي وهو:

فان كنتُ مأكولاً فكن خير آكلٍ وإلاَّ فادركني ولمَّا أُمزَّقِ

توفي سنة ٣٥ هـ ٦٥٥ م

ولما احتُضر سلمان الفارسي تحسَّر عند موتهِ فقيل لهُ علامَ تأسُّفك يا أبا عبد الله قال ليس تأسفي على الدنيا ولكنّ رسول الله عهد الينا وقال ليكن بُلغة أحدكم كزاد الراكب وأخاف أن نكون جاوزنا أمرَهُ وحولي هذه الاشياء وأشار الى ما يليهِ واذا هو سيف ودست وجفنة ثم اسلم الروح سنة ٣٦ هـ (٦٥٦ م)

وروي ان الامام علي بن ابي طالب بعد ما ضربهُ ابن ملجم شهق شهقةً بعد ان أُغمي عليهِ ثم افاق ودعا ولديهِ الحسن والحسين وقال : " أُوصيكما بتقوى الله تعالى والرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا ولا تأسفا على شيءٍ فاتكما منها فانكما عنها راحلان . افعلا الخير وكونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً " — ثم دعا محمداً ولدهُ وقال لهُ : " اما سمعتَ ما اوصيتُ بهِ اخويك " — قال : بلى — قال " فاني أُوصيك بهِ وعليك ببرِّ(٣) اخويك وتوقيرهما ومعرفة فضلهما ولا تقطع امراً دونهما " — ثم اقبل عليهما وقال : " أُوصيكما بهِ خيراً فانهُ اخوكما وابن ابيكما وانتما تعلمان انّ اباهُ كان يحبهُ فاحباهُ " — ثم قال : " يا بنيّ أُوصيكم بتقوى الله في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الرضى والغضب والقصد(٤) في الغنى والفقر والعدل في الصديق والعدوّ والعمل في النشاط والكسل والرضى عن الله في الشدَّة والرخاء

يا بنيّ ما شرٌّ بعدهُ الجنة بشرّ ولا خيرٌ بعدهُ النار بخير . وكل نعيم دون الجنة حقير وكل بلاءٍ دون النار عافية . يا بنيّ من ابصر عيب نفسهِ اشتغل عن عيب غيرهِ . ومن رضي بما قسم الله لهُ لم يحزن على ما فاتهُ . ومن سلّ سيف البغي قتل بهِ ومن حفر لاخيهِ بئراً أُوقع فيها ومن هتك حجاب اخيهِ هتكت عورات بنيهِ . ومَن نسي خطيئتهُ استعظم خطيئة غيرهِ ومَن

(١) جمع الزبية وهي الرابية لا يعلوها ماء ويروى الربى (٢) مثنى الطبي وهي حلمات الضرع والعبارتان مثلٌ بمعنى اشتداد الامر وتفاقمهِ (٣) بمعنى اكرام من برّ والديهِ اذا اكرمها وضدّهُ عقها
(٤) بمعنى الاقتصاد والتوفير ولا يخفى بلاغة هذه الفقرات فانها من جوامع الكلم

أُعجِب برأيهِ ضلّ . ومَن استغنى بعقلهِ زلّ . ومن تكبر على الناس ذلّ . ومن خالط الانذال احتُقر . ومن دخل مداخل السوء اتُّهم . ومن جالس العلماء وقر . ومن مزح استُخفّ بهِ . ومن اكثر من شيءٍ عُرف بهِ . ومن كثر كلامهُ كثر خطؤهُ . ومن كثر خطؤهُ قلّ حياؤهُ . ومن قلّ حياؤهُ قلّ ورعهُ . ومن قلّ ورعهُ مات قلبهُ . ومن مات قلبهُ دخل النار

يا بنيّ الادب ميزان الرجل . وحسن الخُلق خير قرين . يا بنيّ العافية عشرة اجزاء تسعة منها في الصمت إلاّ ذكر الله تعالى وواحدٌ في ترك مجالسة السفهاء . يا بني زينة الفقر الصبر . وزينة الغنى الشكر . يا بنيّ لا شرف أعلى من الإسلام ولا كرم أعز من التقوى . ولا شفيع انجح من التوبة . ولا لباس اجمل من العافية . يا بنيّ الحرص مفتاح التعب ومطيّة النَّصَب(١) توفي سنة ٤٠ هـ ٦٦٠ م

ودنا اجل الحسن بن علي وهو يكثر الاسترجاع(٢) فقال لهُ ابنهُ " امثالك يسترجع على الدنيا " — قال : " يا بني ما استرجع الاّ على نفسي التي لم أُصبْ بمثلها قط " توفي سنة ٥٠ هـ ٦٧٠ م

ولما حضرت عمرو بن العاص الوفاة قال لهُ ابنهُ : " يا ابتاهُ انك كنتَ تقول لنا " ليتني كنتُ القى رجلاً عاقلاً لبيباً عند نزول الموت بهِ حتى يصف لي ما يجد " وانت ذلك الرجل فصف لي الموت فقال : " يا بنيّ والله كأنّ السماء قد أُطبقت على الارض وكأنّ جنبيّ في تخت وكأنّي اتنفس من سمّ(٣) إبرة وكأنّ غصن الشوك يجذب من قدمي الى هامتي " ثم انشأ يقول :

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي   في رؤوس الجبال ارعى الوعولا

ويروى انهُ دعا بغلّ وقيد وقال أَلبسوني اياهما فاني سمعت رسول الله يقول ان التوبة مقبولة ما لم يغرغر(٤) ابن آدم بنفسهِ ثم استقبل القبلة وقال : " اللهم انك امرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا وهذا مقام العائذ(٥) بك فان تعفُ فانت اهل العفو وان تعاقب فيما قدّمت يداي لا إله الاّ انت سبحانك اني كنت من الظالمين " ثم مات وهو مغلول مقيد . فبلغ ذلك الحسن ابن علي بن ابي طالب فقال استسلم الشيخ ولعلها تنفعهُ

ويروى انهُ جمع بنيهِ فقال " يا بنيّ ما تغنون عني من امر الله شيئاً " — قالوا : " يا أبتي

---

(١) بمعنى التعب (٢) استرجع قال انا لله وانا اليهِ راجعون (٣) ثقب (٤) يغرغر يجود بنفسهِ عند الموت (٥) الملتجئ

انهُ الموت ولو كان غيرهُ لوقيناك بانفسنا" — فقال: اسندوني فاسندوهُ — ثم قال: "اللهمَّ انك امرتني فلم آتمر وزجرتني فلم ازدجر اللهمَّ لاقويَّ فانتصر ولا بريَّ فاعتذر ولا مستكبر بل مستغفر استغفرك واتوب اليك لا اله الاَّ انت سبحانك اني كنتُ من الظالمين" فلم يزل يكرّرها حتى مات

ولما احتضر ابو هريرة عبد الرحمن بن صخر الأزدي الحافظ الكبير بكى فسئل عن ذلك فقال "ابكي على بعد سفري وقلة زادي واني اصبحتُ على مهبط جنةٍ او نار لا ادري ايهما يأخذ بي" ثم قضى نحبهُ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

ولما حانت وفاة سعيد بن العاص القرشيّ الصحابيّ قال لبنيهِ: "ايكم يقبل وصيتي — قال الأكبر أنا — قال انَّ فيها وفاء ديني — قال وما هو. قال: ثمانون الف دينار. قال وفيمَ اخذتها. قال "في كريم سددتُ خلّتهُ(١) وفي رجل جاءني ودمهُ يتروّى(٢) في وجههِ من الحياء فبدأتهُ بحاجتهِ قبل سؤالهِ" ثم استأثرت بهِ رحمة ربهِ سنة ٥٩ هـ ٦٧٨ م

وكان سعيد بن عمرو بن العاص ذا نخوة وهمة قيل لهُ في مرضهِ ان المريض يستريح الى الأنين والى شرح ما بهِ الى الطبيب فقال: "اما الأنين فهو جزع(٣) وعار. والله لا يسمع مني انيناً فأكون عندهُ جزوعاً. واما وصف ما بي الى الطبيب فوالله لا يحكم غير الله في نفسي ان شاء الله امسكها وان شاء قبضها" وعُوجل الى رحمة ربهِ

ولما أُصيب الربيع بن خيثم الزاهد بالفالج قيل لهُ: لِمَ تتداوى فقال: قد علمت ان لفي الدواء شفاء ولكن عن قريبٍ لا يبقى المداوي ولا المداوَى ثم توفي سنة ٦٧ هـ ٦٨٦ م

وقال الطرمّاح بن حكيم يرثي نفسهُ (توفي سنة ٦٨ هـ ٦٨٧ م)

فيا ربِّ لا تجعل وفاتيَ إنْ أتت على شرجعٍ(٤) يُعلى بدكن(٥) المطارفِ(٦)
ولكنْ أجزْ يومي شهيدًا وعصبةً يصابون في فجٍّ من الارض خائفِ
اذا فارقوا دنياهمُ فارقوا الاذى وصاروا الى موعود ما في الصحائفِ
فأُقتَل قصعاً(٧) ثمَّ يُرمى باعظمي مفرّقةً اوصالها في التنائفِ(٨)
ويصبح لحمي بين طيرٍ مُعيلةٍ(٩) دوين السماء في نسورٍ عواجفِ(١٠)

---

(١) فقرهُ وحاجتهُ (٢) لعلها يتراءى (٣) الجزع ضدّ الصبر (٤) نعش (٥) جمع ادكن وهو المائل الى السواد (٦) الاثواب المعلمة ويريد الاكفان والاغشية السود (٧) من قصع الجرح بالدم شرق بهِ وامتلأ اي قتلاً ولعلهُ يريد القتل السريع (٨) الفلوات جمع تنوفة (٩) مكتفية بهِ او حريصة عليهِ ومفتقرة اليهِ او ذات فراخ كثيرة (١٠) مهزولة

ولما احتضر معاوية بن ابي سفيان قال ــــ

أَلا ليتني لم أُعنَ(١) في الملك ساعةً ولم أكُ في اللذات أعشى النواظرِ
وكنتُ كذي طِمْرَين(٢) عاش ببُلغةٍ(٣) ليالِيَ حتى زار ضنك المقابرِ

ويُروى انهُ قال ــــ

ان تعذّبْ يكن عذابك يا ربِّ غراماً لا طاقة بالعذابِ
او تجاوز فانت ربٌ عفوٌ عن مسيءٍ ذنوبهُ كالترابِ

وقيل وفد الناس يعدونهُ فقال لاهلهِ " مهّدوا لي فراشاً واسندوني واوسعوا رأسي دهاناً ثم اكحلوا عينيَّ بالاثمد(٤) ثم ائذنوا للناس يدخلوا ويسلّموا عليَّ قياماً ولا تجلسوا عندي احداً " ففعلوا ذلك . ولما دنا منهُ الموت تمثل بهذا البيت :

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت ادهى وافظعُ

ثم رفع يديهِ وقال : " اللهمَّ اقل(٥) العثرة واعفُ عن الزلة وعد بحكمك على من لم يرجُ غيرك ولا يثق الاَّ بك فانك واسع المغفرة وليس لذي خطيئةً منك مهرب " ثم اسلم الروح. توفي سنة ٦١ هـ ٦٨٠ م

ولما دنت ساعة معاوية بن يزيد قيل لهُ " لو عهدت الى رجل من اهل بيتك واستخلفت خليفةً " قال " لم انتفع بها حيًّا فلا اقلدها ميتاً لا يذهب بنو امية بحلاوتها واتجرَّع(٦) مرارتها ولكن اذا متُّ فليصلِّ عليَّ الوليد بن عقبة . وليصلِّ بالناس الضحّاك بن قيس حتى يختار الناس لانفسهم " وتوفي سنة ٦٤ هـ ٦٨٣ م

ودخل ابو سهل الساعديّ على جميل بُثَينَة وبوجههِ آثار الموت فقال لهُ " يا ابا سهل ان رجلاً يلقى الله ولم يسفك دماً ولم يشرب خمرًا ولم يأتِ فاحشة أفترجو لهُ الجنة " — قال الساعدي " اي والله فمن هو " — قال جميل " اني لأرجو ان اكون ذلك " — فذكر الساعدي لهُ بُثَينة . فقال جميل : " اني لفي آخر يوم من الدنيا واول يوم من الآخرة لا نالتني شفاعة محمد ان كنتُ حدَّثتُ نفسي بريبةٍ قطُّ "

ولما شعر جميل بقرب الساعة دعا صديقاً لهُ وعاهدهُ على ان يتم وصاتهُ وهي : " اذا انا

(١) اتعب واشقى (٢) الثوب البالي (٣) الكفاف من العيش او ما يسدّ بهِ الرمق (٤) الكحل
(٥) اقال عثرتهُ انهضهُ من سقطتهِ (٦) اشرب واُسقى

متُّ فخذ حلّتي هذه التي في عيبتي[١] فاعزلها جانباً ثم كلّ شيءٍ سواها لك وارحل الى رهط بني الأحبّ من عذرة وهم رهط بثينة فاذا صرت اليهم فارتحل ناقتي هذه واركبها ثم البس حلتي هذه واشققها ثم اعلُ على شرفٍ[٢] وصِح بهذه الابيات وخلاك ذمٌّ[٣]

صدع[٤] النعيُّ وما كنى بجميلِ — وثوى[٥] بمصر ثواءَ غير قفولِ[٦]
ولقد اجرُّ الذيل في وادي القرى[٧] — نشوان[٨] بين مزارعٍ ونخيلِ
قومي بثينةُ فاندبي بعويلِ — وابكِ خليلكِ دون كلّ خليلِ

وتوفي سنة ٨٢ هـ ٧٠١ م وفعل صديقهُ حسب وصيتهِ

ولما احسّ المهلّب بن ابي صفرة الأزديّ البصريّ بساعة رحيلهِ عن الدنيا دعا بسهام فحزمت . ثم قال لبنيهِ : اترونكم كاسريها مجتمعة . قالوا : لا . قال : أفترونكم كاسريها مفرّقةً . قالوا : نعم . قال : « هكذا الجماعة » وتوفي سنة ٨٣ هـ ٧٠٢ م

ولما شعر عبد الملك بن مروان بالموت قال لابنهِ الوليد : « اذا انا متُّ اياك ان تجلس وتعصر عينيك[٩] كالمرأة الوكعاء[١٠] . لكن ائتزر وشمّر والبس جلد النمر[١١] وضعني في حفرتي وخلّني وشأني وعليك شأنك وادعُ الناس الى بيعتك . فمن قال برأسهِ هكذا[١٢] فقل لهُ بسيفك هكذا[١٣] » — ثم بعث الى محمد وخالد ابني يزيد بن معاوية . فقال : « هل عندكما ندامة في بيعة الوليد » — فقالوا : « لا نعرف احداً احقّ منهُ بالخلافة . فقال « اما انكما لو قلتما غير هذا لضربت الذي فيهِ اعينكما[١٤] » ثم رفع كنار[١٥] فراشهِ فاذا تحتهُ سيف مسلول تحت يمينهِ — كل هذا وروحهُ تتردّد في حنجرتهِ وهو يقول : « الحمد لله الذي لا يبالي اصغيراً اخذ ام كبيراً . لا اله الاّ الله محمد رسول الله . ثم بعد ساعة نفدت روحهُ سنة ٨٧ هـ ٧٠٥ م

وقال الاصمعي حسدت عبد الملك على كلمة تكلّم بها عند الموت وهي « اللهمّ ان ذنوبي وان كثرت وجلّت عن الصفة فانها صغيرة في جنب عفوك فاعفُ عني » اه

ويروى ايضاً انهُ في احتضارهِ في قصرهِ الذي كان يُشرف على بردى نظر فرأى غسّالاً

(١) وعاء الثياب (٢) محلّ مرتفع (٣) دعاء بمعنى لا اتيت أما يستحق الذمّ (٤) كشف و بين
(٥) حلّ ونزل (٦) راجع (٧) اسم محلّ (٨) سكران وهائم (٩) كناية عن البكاء
(١٠) الحمقاء الوجعاء (١١) كناية عن التصبر والجلد (١٢) اي اشار برأسهِ اشارة النفي
(١٣) كناية عن تجريد السيف والضرب بهِ (١٤) كناية عن الراس (١٥) حاشية الثوب فارسيّ يريد بهِ الغطاء

يغسل الثياب فقال ليتني كنت مثل هذا الغسَّال أكتسب ما اعيش بهِ يوماً بيوم ولم أَلِ[1] الخلافة وتمثل بقول اميَّة

ليتني كنتُ قبل ما قد بدا لي في رؤُوس الجبال ارعى الوعولا

ولما بلغ قولهُ ابا حازم قال "الحمد لله الذي جعلهم في وقت الموت يتمنون ما نحن فيهِ ولم يجعلنا في احتضارنا نتمنى ما هم فيهِ"

ويروى ان ابن القرّية خطيب العرب المشهور لما دعا الحجاج بن يوسف الثقفي بالسيَّاف لقطع رأْسهِ استوقفهُ وقال "كلمات اصلح الله الامير كأنهنَّ ركب وقوف يكنَّ مثلاً بعدي" قال هات : قال "لكل جواد[2] كبوة[3] ولكل صارم[4] نبوة[5] ولكل حكيم هفوة[6]" قال الحجاج ليس هذا وقت المزاح ياغلام اوجب جرحهُ فضرب عنقهُ سنة ٨٤ هـ ٧٠٣ م

ولما اشرف الاخطل الشاعر المشهور على الموت قيل لهُ: يا ابا مالك ألا توصي. قال بلى. ثم انشد يوصي الفرزدق وكان صديقهُ

أُوصّي الفرزدق عند المماتِ بأُمّ جريرٍ وأَغيارها[7]
وزار القبور ابو مالكٍ برغم العداة واوتارها[8]

وتوفي سنة ٩٠ هـ ٧٠٨ م

ولما احتضر ابرهيم النخعيّ الكوفي جزع جزعاً شديدًا فقيل لهُ في ذلك فقال "واي خطر اعظم مما انا فيهِ انما اتوقع[9] رسولاً يرد عليَّ من ربي اما بالجنة واما بالنار والله لوددت انها تلجلج[10] في حلقي الى يوم القيامة" وتوفي سنة ٩٦ هـ ٧١٤ م

وقال الحجاج بن يوسف الثقفي عند موتهِ : "اللهمَّ اغفر لي فانهم يقولون انك لا تغفر لي" وتوفي سنة ٩٧ هـ (٧١٥ م) وكان عمر بن عبد العزيز تعجبهُ هذه الكلمة منهُ ويغبطهُ عليها ولما حكى ذلك للحسن البصري قال اوَ قالها فقيل نعم فقال عسى

وانشد ابن سريج المغني المشهور لما حضرتهُ الوفاة في خلافة سليمان بن عبد الملك

كأني من تذكُّر ما أُلاقي اذا ما اظلم الليلُ البهيم[11]
سقيمٌ ملَّ منهُ اقربوهُ واسلمهُ المداوي والحميم[12]

ستأتي البقية

(١) اتملك واتولَّ (٢) حصان كريم (٣) عثرة وسقطة (٤) سيف قاطع (٥) نبا السيف عن الضريبة كلَّ عنها وارتدَّ ولم يقطع (٦) سقطة وغلطة (٧) بمعنى ضرَّاتها (٨) جمع وتر وهو بمعنى الثار (٩) انتظر (١٠) اي تتلجلج اي تتردَّد (١١) المظلم (١٢) الصديق

الشيخ محمد عبده

اشتغالهُ في مجلس الشورى

وقال سعادة حسن باشا عبد الرازق واصفاً اشتغال الفقيد في مجلس الشورى

ما كان فقيدنا رحمة الله عليهِ من الرجال الذين ينبغون في كل جيل او ينشأُون من كل قبيل ولكن من النوابغ الذين يأتي بهم الدهر آحاداً وتتحلى بهم العصور في احقاب متفرقة فينشأُون وقد عدَّهم الله لجلائل الاعمال وعظائم الامور ومنحهم فطرةً تعلو على سائر الفطر وميزهم بسداد الرأي ورجاحة العقل وبعد المرمى وسعة الصدر وقوة القلب فاذا نبت امثالُ هؤُلاء في ارض صالحة ووجدوا في امم مستعدة للرقى طامحةٍ الى ادراك المعالي عرفت اقدارهم ووزنت اعمالهم واهتدت بهديهم فساروا بها في سبل السعادة ورفعوا مقامها على هام السماك لا سيما اذا طال بهم الاجل واتسعت لهم مدة العمر وكان نصيب بلادهم واهلها منهم خير نصيب . هؤُلاء الرجال العاملون لخير اممهم يجدون من قومهم في البلاد الحية ما يزيدهم اقداماً وثباتاً ويملأُ صدورهم ثقة ورجاء فيعيشون ما يعيشون مؤيدةً كلمتهم مكرمةً رتبتهم محفوظاً لهم الجميل وبذلك يشتد ساعدهم وتنمو ملكة الاصلاح فيهم وكلما زادهم قومهم قبولاً واقبالاً زادوا رغبةً في العمل ولا تجد انشط للعامل من ان يرى لعملهِ عند امتهِ قبولاً

اما اذا قضى الله لأُولئك النابغين ان يكونوا بين أُمم فسدت اخلاقها وتمزقت روابطها وبعد ما بينها وبين الحياة القومية وتمكنت منها الغفلة وساد فيها الجهل فانهم يجدون من قومهم حرباً عواناً كلما ارادوا بهم اصلاحاً لانهم يريدون ان يزحزحوا الناس عن ملكات فاسدةٍ رسخت في نفوسهم واطمأَنت لها قلوبهم ويعملون لتحويل وجوههم الى الرشاد بعد ان انصرفت الى الغي وأَنست بهِ وما اصعب نقل الطباع في الامم من الفساد الى الصلاح وما اشد مدافعة الجاهلين عن اهوائهم وشهواتهم ولكن قد يوجد في تلك الامم الميتة بعض افرادٍ يوفقهم الله لتمييز الصواب من الخطاء ومعرفة النافع من الضار فيقبلون علي اولئك المصلحين بوجوههم ويصغون لندائهم فان مد الله لهم في حبل الحياة اثمر غراسهم وتركوا من يخلفهم في اعمالهم اما اذا اسرع اليهم الحمام كان نجاح عملهم بطيئاً

ولا يخفى عليكم ايها السادة حال امتنا المصرية وما لاقى الاستاذ الفقيد رحمهُ الله منها ابتداء من مناصبتها لهُ ووضعها العقبات في سبيلهِ

(وافاض الخطيب في وصف هذه العقبات وتغلب الفقيد عليها وساق الحديث الى آثارهِ في مجلس الشورى فقال)

ولكني ارى من الواجب عليَّ ايها السادة ان اذكر لكم مجملاً من مآثرهِ الغراء واعمالهِ الجليلة في مجلس شورى القوانين لانني رافقتهُ فيهِ في اغلب اوقاتهِ وشاركتهُ في معظم اعمالهِ وعرفت من حسن نيتهِ وصدق عزيمتهِ ما لا يعرفهُ كثير من الناس

اختارت الحكومة الاستاذ رحمة الله عليهِ عضوًا في المجلس وتعين بامر عالٍ في ٢٥ يونيو سنة ١٨٩٩ واول جلسة حضرها كانت في يوم الخميس ٢٩ منهُ وكان اذ ذاك بين اهل الحلّ والعقد في الحكومة وبين رجال الشورى شيءٌ اشبهُ بالخلاف في الرأي ادَّى الى ان الحكومة نفَّذت كثيرًا من المشروعات التي كان المجلس يرى الخير للامة في عدم العمل بها وصرفت النظر ايضًا عن كل او جل التعديل في المشروعات التي كان يرى ان الصلاح والنفع للامة في تعديلها فلما جاء الاستاذ الى المجلس ونظر في الامر نظرة الحكيم البصير وعرف ان ليس هناك ما يدعو الى هذا الانفراج وانما هو سوء التفاهم باعد ما بين المشارب على تقاربها سعى رحمهُ الله في ان يزيل اسباب هذا الخلاف فكان ما اراد وعرفت الحكومة ان المجلس انما يطلب ما فيهِ السعادة للامة ويبتغي الخير لها وان ليس لهُ غرض في مصادمة آراء الحكومة ومطالبها ما دامت تتفق مع مقصدهِ وعلم المجلس ايضًا ان الحكومة لا تقصد الى شيء وراء ما يقصدهُ لمصلحة البلاد وبذلك اتفقت الكلمة في الغالب ولم يعد بين الهيئة الحاكمة والهيئة النيابية من الخلاف ما يتعسر حلهُ

كان الاستاذ رحمة الله عليهِ واسطة العقد في مجلس الشورى فالتفَّت حولهُ القلوب وعرف الكل مكانتهُ من قوة الحجة وسداد الرأْي وطهارة النية وكان اخوانهُ من رجال الشورى يلجأُون اليهِ اذا اشتبه الامر وخفي الصواب فينطق بالحكمة وفصل الخطاب وكان مع هذا اسرع الناس قبولاً الى الحق واوسعهم لهُ صدرًا فاذا سقت اليهِ الحق هشت لهُ نفسهُ وقرَّت بهِ عينهُ ولم يصرفهُ عنهُ تمسك بالرأْي ولا تعصب لمشرب

وكثيرًا ما كنا نباحثهُ في امرٍ اختلف النظر فيهِ بيننا وبينهُ فيرجع الينا ويوافق رأْيهُ رأْينا ولم نرَ مثلهُ في احترام الآراء ما دام مصدرها شريفًا لم يشبهُ الغرض

ولقد كنا نختلف معهُ في رأْي ويجاهر كل منا برأْيهِ ويدعو اليهِ اعتقادًا منهُ انهُ الحق ولا نزال بعد ذلك اخلص الناس سرًّا واصفاهم ودًّا

وكان رحمهُ الله واسع الاطلاع نير البصيرة في كل ضرب من ضروب الاصلاح فاذا عرضت المشروعات القانونية كان بها خبيرًا بصيرًا واذا قدمت اللوائح الادارية لم يكن اقلّ من اهلها علمًا بدقائقها واسرارها واحاطةً بمنافعها ومضارها واذا جاءت المسائل المالية رأيتهُ ماهرًا باساليب الحساب عارفًا بفنون الاقتصاد فكنا نجد منهُ في سائر الابواب علمًا جمًّا ومعرفة وفهمًا ورأيًا صائبًا وذهنًا ثاقبًا ولم يزل هكذا يعمل وهكذا يجاهد حتى عجزت قواهُ عن العمل وحال بينهُ وبين مرادهِ الاجل. قضى هذا الفقيد الكريم مدتهُ بيننا وهو كالقطر حيثما وقع نفع وانا لنعلم ان البلاد ثكلت بموتهِ رجلاً لا تعوضهُ الرجال وانثلم بفقدهِ بناء الاسلام ثلمة جانبها ليس بمسدود

اخلاقهُ وفضائلهُ

وقال حضرة القاضي الفاضل قاسم بك امين المستشار في محكمة الاستئناف

اذا أُصيبت امة من الامم الغربية بفقد رجل من رجال العلم او الادب او السياسة كانت نعتمد عليهِ في اصلاح شأن من شؤُونها قال قومهُ "ليس في الوجود انسانٌ لا يعوَّض" ووجدوا في الحال بين اهل طائفتهِ او صناعتهِ من يسدُّ الفراغ الذي تركهُ ويأخذ مكانهُ

اما الحال عندنا فليس كذلك . مهما قلبنا النظر ودققنا في البحث والتفتيش فلا نجد في امتنا من يعوض علينا ما خسرناهُ بفقد استاذنا الشيخ محمد عبده لا اقول ذلك محاباة لصديق كانت محبتهُ من اسباب الشرف والسعادة لي ولا موافقة للعادة المتبعة في رثاء المتوفين حيث يحسن غض النظر عن عيوبهم ومنحهم صفات وفضائل لم يعترف لهم احد بشيءٍ منها مدة وجودهم بين الاحياء

وانما هذا هو الحق الذي يجب اعلانهُ اعترافًا بالفضل لمصري وصل الى اسمى مقام يمكن ان ينالهُ انسان في هذه الحياة . مقام لم يستمد وجودهُ من منصب عالٍ في الحكومة ولا من رتبة رفيعة ولا من ثروة طائلة ولا من نسبة الى بيت قديم ولا من شيءٍ آخر من القاب الشرف المعروفة التي اخترعت لتحلَّ محل شرف النفس . مقام اهتدى اليهِ بشعورهِ واكتسبهُ بجدهِ وعملهِ وحافظ عليهِ بقوة ارادتهِ وحسن سياستهِ وخدم فيهِ بعلمهِ وعقلهِ . مقام مكنهُ من ان يمسك بيدهِ زمام امة باسرها ويحركها نحو الخطة التي رسمها ويسوقها الى المستقبل الذي هيأهُ لها . مقام الامامة باوسع معناها . تركهُ الشيخ محمد عبده ولا يوجد في مصر واحد يجرأُ على ان يدعي فيهِ استحقاقًا بعدهُ

لهذا رأَينا مدة مرض الامام ويوم وفاتهِ حركة في شعور الامة لم يسبق لها مثيل في تاريخ حياتها

تتذكرون يوم السفر الى الاسكندرية حيث كان المئات من اصدقائهِ ومعارفهِ وزملائهِ وتلاميذهِ يودعونهُ في المحطة وجميعهم في سكون وقلق وخوف على حياتهِ . وتتذكرون اقامتهُ في الرمل والزائرون من جميع طبقات الامة ومن جميع جهات القطر يتوافدون عليهِ افواجاً في كل ساعة من النهار وهم يترددون بين الامل والياس يسألون عن صحتهِ ويرسلون اخبارهُ الى محبيهِ الكثيرين الذين كانت تمنعهم اشغالهم عن زيارتهِ وتعلمون الاحتفال الجليل الذي قام بهِ سكان الثغر والعاصمة بعد موتهِ

رأَينا كثيرًا من العلماءِ والذوات والامراءِ مرضوا وماتوا فكانوا موضوعاً للمظاهرات الرسمية ولم نشاهد ان عدداً يذكر من الامة غير اقاربهم واصحابهم اهتم لحادث من تلك الحوادث واظهر شيئًا من شعورهِ

ذلك لان اولئك العلماء والذوات والامراء انما عاشوا لانفسهم ولكن امتنا قد شعرت في هذه الدفعة بحسن غريزتها انها فقدت رجلاً كان عائشاً لها اكثر من كونهِ كان عائشاً لنفسهِ ولعائلتهِ . هذا هو سر الشعور الجديد الذي رأَيناهُ لاول مرة في الامة المصرية شعور الاتحاد في الكدر والحزن لحرمانهم من امامهم المحبوب

فكان هذا الحادث العظيم مبدأَ الاتحاد والتضامن بين عدد كبير من الامة المصرية جمعهم احساس واحد . وهذه خطوة في سبيل التقدم الادبي الذي هو في نهاية الامر عبارة عن ترقي الاحساس الى درجة يميل معها الى الجميل وينفر من القبيح في جميع اشكالها ومظاهرها

سادتي ان كل نفس بشرية لها نصيب من الجمال والقبح . والكمال المطلق لا يوجد في هذا العالم ولكن بعض النفوس الممتازة تقرب من الكمال اكثر من غيرها فتنمو زهرة الجمال فيها نموًّا عجيباً وتتكاثر فروعها وتمتد طولاً وعرضاً ولا تترك محلاً لسواها فيضعف ويذبل كل نبات خبيث بجانبها

ومن هذا القسم الممتاز كانت نفس امامنا العزيز . نفس خلقت على احسن شكل زينها صاحبها بالفضائل حتى صارت مثالاً في الجمال يجب ان نضعهُ دائمًا امامنا لنتعلم منهُ مقدار ما يصل الجهد في العمل عند رجل اقترب من سن الستين وكان يطالع ويتعلم ويعلم ويفتي ويجلس في جلسات مجلس شورى القوانين ومجلس الاوقاف الاعلى ويترأس على الجمعية الخيرية الاسلامية ويضع المشروعات للازهر وللمحاكم الشرعية ويمتحن طلبة العلم وتلامذة

المدارس ويؤلف الرسائل الدينية وينشر المقالات الفلسفية ويدافع عن الدين اذا طعن عدو عليهِ ويراسل علماء المسلمين في جميع الاقطار التي يسكنونها ويتخابر مع رجال الحكومة لتنفيذ مقاصدهِ . وكان مع كل ذلك يجد وقتاً ليزور اصحابهُ ويشاركهم في جميع افراحهم واحزانهم

ونتعلم منها ايضاً مبلغ ارتقاء الخلق في انسان اجهد نفسهُ وهذبها ورباها حتى ارسلها الى اقصى ما تصل اليهِ نفس بشرية من الجمال اوالكمال

بلغت فيهِ طيبة النفس الى درجة تكاد تكون غير محدودة . كان يجذبهُ الخير كما يجذب المغناطيس الحديد فيندفع اليهِ ويسعى الى كل نفع للغير عام او خاص . كان ملجأ الفقراء واليتامى والمظلومين والمرفوتين والمصابين باي مصيبة واهل الازهر الذين هم اكثر الناس احتياجاً الى المساعدة لانهم في وسط المدنية الحاضرة المتأخرون العاجزون عن الدفاع عن انفسهم في ميدان حياتنا الجديدة . يبذل اليهم مالهُ ويسعى لهم عند ولاة الامور بهمة لا تعرف الملل كأنما كان يسعى لاعز انسان لديهِ يسعى مرة ومرتين وثلاثاً الى ان يقضي حاجتهم وهم جميعهم في نظرهِ مستحقون سواءٌ كانوا كذلك في الحقيقة ام لا . بل كان يسعى الى صاحب الحاجة وهو يعلم انهُ اساء اليهِ وقدح فيهِ وتحالف مع خصومهِ واشترك في ترويج عبارات القذف والنميمة التي لم تنقطع عنهُ يوماً مدة حياتهِ

لا يصل انسان الى هذا الخلق العظيم الاَّ اذا ربى نفسهُ على ان تتغلب على الغرائز القبيحة الملازمة للطبيعة البشرية وصار حاكماً عليها يحاسبها على كل عمل او نزعة او فكرة او خاطر مما يرد عليها . كان الاستاذ يرى ان الشر لا فائدة منهُ مطلقاً وان التسامح والعفو عن كل شيء وعن كل شخص هما احسن ما يعالج بهِ السوء ويفيد في اصلاح فاعلهِ . كان متفقاً مع فلاسفة العصر على ان الخير لا يتولد الاَّ من الخير والشر لا ينتج الاَّ من الشر

نعم كان للامام الكبير الذي فرض على نفسهِ اصلاح امتهِ خصوم واعداءٌ كثيرون وهم جيش الجهل المركب من عامة الناس الذين لم ينالوا من التربية والعقل ما يؤهلهم لان يدركوا مقاصدهُ ويفهموا مباحثهُ فيقتصروا على التمسك بما وُجد عليهِ آباؤهم من قبل — وعلى جوانب هذا الجيش يحرض على الطعن عليهِ الحاسدون الذين يتألمون اذا ارتفع واحد من الناس عنهم فلا يجدون راحتهم الاَّ اذا انزلوهُ من مكانهِ ووضعوهُ في مستوى واحد معهم — وفي مقدمة هذا الجيش كقواد لهُ ارباب الغايات الذين يسيرون بسفينة مصالحهم من حيث تأتي الرياح . فكان الاستاذ يقاوم ويحارب هذا الجيش الطويل العريض بقوة وعزيمة يحار

العقل فيهما ولكنهُ كان يدافع بقدر الضرورة ولا يتعداها ويحارب حرب الشجاع الكريم الذي لا يطعن من الخلف ولا يخدع ولا يغش . وكان فضلاً عن ذلك لا يكره خصومهُ ولا يبغض اعداءهُ وانما يناقش افكارهم ويطعن على اوهامهم ويهدم معتقداتهم الباطلة ويرجو لهم الهداية ويرشدهم الى الصواب

كان الكثير من اصحابهِ ينصحونهُ ان يجتنب اسباب العناء ويترك ادارة الازهر والدروس التي كان يلقيها فيهِ ومجلس الاوقاف ومجلس الشورى والافتاء ويعود الى مركزهِ في الاستئناف براتب اعظم مما كان يكسبهُ وعمل اخف مما كان يكابدهُ فيعيش كغيرهِ خالياً مستريحاً مطمئناً . ولكنهُ لم يسمع قول نصوح . واقول انهُ كما عرفتهُ كان من المستحيل عليهِ ان يعيش عيشة اخرى

وكان الكثير من الناس يعترضون عليهِ قائلين: ما هذا الشيخ الذي يتكلم باللغة الفرنساوية ويسيح في بلاد الافرنج ويترجم مؤلفاتهم وينقل عن فلاسفتهم ويباحث علماءهم ويفتي بما لم يقل بهِ احد من المتقدمين ويشترك في الجمعيات الخيرية ويجمع المال للفقراء والمنكوبين ان كان من اهل الدين فليقضِ حياتهُ بين الجامع والبيت وان كان من رجال الدنيا فانا نراهُ يعمل فيها وحدهُ اكثر من جميع الناس . كان الاستاذ يسمع ذلك ولا يلتفت الى اقوال المنتقدين حسنت نيتهم او ساءت

كان محركاً بقوة غير عادية ملآناً بالفكر الى حد انهُ ما كان يسعهُ كلهُ فكان يفيض منهُ بالرغم عنهُ . وكان قلبهُ ملتهباً بحب وطنهِ فلا يستريح الاَّ وهو مشغول بهِ وبسعادتهِ ومستقبلهِ وكان مثل جميع النوابغ لا يبالي بالالم الذي يأتيهِ بسبب امنيتهِ التي كان يعزها بل كان يجد الالم فيها لذيذاً كما يلتذ العاشق بما يقاسيهِ من العذاب في هوى من يحبهُ

كم من مرة سمعتهُ يؤكد بانهُ صمم على ان لا يتداخل في شيء من هذا القبيل ثم رأيتهُ في الغد منغمساً فيهِ اكثر مما كان بالامس

ذلك لانهُ كان بعكس ما يراهُ عموم المصريين في نفسهم عندهُ امل لا يزعزعهُ شيء في اصلاح امتهِ . واعتقاد متين ان البذرة الطيبة متى القيت في ارض بلادنا الخصبة نبتت وازهرت واثمرت كما نبتت وازهرت واثمرت بذور الفساد فيها

لهذا كان يلقي بملء يديهِ كل ما جمعهُ في حياتهِ من الافكار الصالحة والعواطف الشريفة والتعاليم المفيدة — كأ نهُ كان يشعر ان حياتهُ ليست طويلة وكان يعجل ببذل جميع ما كان عندهُ وهل كان مخطئاً في آمالهِ ؟ كلاَّ . وانما يخطئ من يقنط وييأس من مستقبل امتهِ

ان لم تسمح القدرة لامام مصر باتمام مقاصده جميعها فلا ينكر احد ان تعاليمهُ قد أثرت في عموم الامة وفي اهل الازهر على الخصوص تأثيرًا حسنًا

ولكن ينبغي ان لا يغيب عن فكرنا ان الامم التي تستفيد من الاصلاح هي التي تستحقهُ اي تدركهُ وتفهمهُ وتحبهُ وتطالب بهِ وتكرم رجالهُ وتحترمهم وتعزهم والاَّ فكل اصلاح فيها مصيرهُ الى الزوال السريع

يجب علينا ان نضع يدنا على بناء الاصلاح الذي وضع الامام اساسهُ ونحافظ عليهِ وندافع عنهُ ونضيف اليهِ ان امكننا حتى نتركهُ الى ذريتنا كميراث نفيس تنتفع منهُ وتزيد عليهِ ثم تتركهُ الى من يأتي بعدها وهكذا ينمو الاصلاح فينا كلما مرت الايام والاجيال كما هو الحال عند الامم الحية . سادتي نحن اليوم في عصر توفرت فيهِ ظروف عديدة تساعد على ارتقاء بلادنا اذا نحن عرفنا ان نستخدمها . نحن في عصر النظام والحرية التامة التي لا تقف الأَ عند حد القانون وارى المفسدين منا تجارتهم رابحة يتكلمون بصوت عالٍ وينشرون ما يوافق مصالحهم ويختلسون ثقة الجمهور ورضاء ولاة الامور . اراهم بالاجمال ينتفعون من الحرية التي مُنحها المصريون وارى بعكس ذلك ان الطيبين منا الصادقين الذين يريدون الخير لبلادهم لا يستعملون حريتهم ولا ينتفعون منها بشيء يتكلمون بصوت منخفض او لا يتكلمون ولا ينشرون اميالهم وآراءهم ويبتعدون عن ولاة امورهم ويترفعون عن المناقشة والجدال ولا يميلون الى الجهاد في سبيل الحق والعدل والمنفعة العامة فكان ضعف هؤلاء وجراءة اولئك من اهم العوائق التي صادفها الامام في طريق الاصلاح

اذا دام هذا الحال كان نصيب ما شيدهُ من البناء الخراب والسقوط

اما اذا عدل محبو الاصلاح منا عن خطتهم وجاهروا بافكارهم ودافعوا عن آرائهم وتركوا ما اعتادوهُ من الافراط في الحرص على راحتهم والمسالمة الزائدة عن حد المعقول وساروا في الطريق الذي رسمهُ لهم امامهم ملهمين بروحهِ مهتدين بنورهِ مقتدين بسيرتهِ معجبين بما اظهرهُ في حياتهِ من علو النفس وشهامة الخلق وشجاعة الرأي وثبات العزيمة فلا ريب ان البناء يكمل والاصلاح يتم ويحقق ما كان استاذنا وامامنا العزيز يريدهُ وما يتمناهُ كل مصري من الشرف والمجد والسعادة لامتهِ

تاريخ محمد علي باشا

حروب ابرهيم باشا

(تابع ما قبلهُ)

ان فوز ابرهيم باشا على الجنود العثمانية لم يرضِ انكلترا لا لأنها كانت تكره محمد علي وترغب في مناوأتهِ بل لأنها تحسب ان سلامة الدولة العلية لازمة لها لكي تبقى سدًّا منيعاً في سبيل الروس ولانها خشيت ان تدور الدائرة على ابرهيم باشا ولو مرةً واحدة فينحدر انحداراً يضعف مركز ابيهِ في مصر فتعزلهُ الدولة منها وتعود الفوضى الى القطر المصري وهذا لا يرضيها لانها استفادت اكثر من كل الدول الاوربية باستتباب الأمن في الديار المصرية وتسهيل سبُل المواصلات فيها وقد اعربت عن ذلك بكلام قالهُ سفيرها في فينا للكولونل هوجس الذي جُعِل حينئذٍ وكيلاً سياسيًّا لبريطانيا في مصر وهو "قل لمحمد علي ان انكلترا لا تنوي لهُ العداء وان النظام والامن اللذين نشرهما في القطر المصري اثمن في عينيها مما هما في عيون سائر الدول لانهما سهَّلا عليها المواصلات الى الهند وان نجاح التجارة في القطر المصري نافع لنا ولذلك يهمنا و يفيدنا جدًّا ان يبقى متمتعاً بحسن الادارة التي اوجدها محمد علي فيهِ ففي افريقية نحن اصدقاء لمحمد علي ولسياستهِ ونودُّ بقاءها واذا لم نكن كذلك في اسيا فليس لاننا نكرههُ بل لان وجودهُ في اسيا يضعف سلطنة آل عثمان ويحلها وهو لا يستطيع ان ينشئ سلطنة تقوم مقامها ونحن عازمون ان نبذل كل مرتخص وغالٍ في سبيل الاحتفاظ بتلك السلطنة

" فان كان غرض محمد علي ان يمهّد الملك لاولادهِ من بعدهِ فذلك انما يكون في افريقية هناك تساعدهُ اوربا وتصالحهُ مع الباب العالي ولهُ ان يقوي البناء الذي انشأهُ فيها ويعززهُ بما شاء حتى يتركهُ لاولادهِ مشيد البنيان معزز الاركان . والامر على ضد ذلك في اسيا لانهُ اذا قام فيها بقي العداء بينهُ وبين الباب العالي فإِما ان يَقهَر او يُقهَر ولكن هاتين النتيجتين غير متوازنتين فاذا قُهِر في معركة واحدة اضطرَّ ان ينكص على عقبهِ الى افريقية واذا فاز فغاية ما ينالهُ ان الطريق تفتح لهُ ليزحف على الاستانة وهي امنع من ان ينالها فلا يستتبُّ لهُ الفوز التام وغاية ما يكسبهُ في اسيا ان يحتلَّ بعض الولايات احتلالاً وقتيًّا وغاية ما يخسرهُ تُعلَم مما اصاب كلَّ فاتح اذا دُحر في بلاد غير بلادهِ "

ونقل الكولونل هوجس هذا الكلام الى محمد علي فلم يتزحزح عن عزمهِ بل قال لقد استوليتُ على هذه الولايات ولا اتخلَّى عنها ما دمت حيًّا

وكان لورد بامرستون في الوزارة فامر الكولونل هدجس بما تعريبهُ

اذا قابلت محمد علي وذكر لك حقوقهُ فقل لسموهِ ان حكومتكَ امرتكَ ان تقول لهُ "ان ليس لهُ حقٌ من الحقوق الّا ما منحهُ اياهُ السلطان وان السلطة الشرعية الوحيدة التي لهُ هي السلطة التي خوَّلهُ اياها السلطان على جانب من سلطنتهِ وقد ائتمنهُ عليها لكي يستخدمها في طاعتهِ والعمل باوامرهِ . وان للسلطان حقًا بان ينزع منهُ ما وهبهُ اياهُ والمرجح انهُ يفعل ذلك اذا رأى ان سلامتهُ تقتضيهِ . وانهُ اذا اراد السلطان ذلك ولم يكن عندهُ الوسائل الكافية للدفاع فلهُ حلفاء يساعدونهُ . وبيّن لمحمد علي ان الحامية التي تستأمن قبل ان تؤخذ حصونها تنال من التساهل في شروط التسليم اكثر مما تنالهُ الحامية التي لا تستأمن الّا بعد ان تخسر كل شيءٍ"

الّا ان هذا الكلام الصريح لم يصرف محمد علي عن عزمهِ لان الحكومة الفرنسويَّة كانت تشد ازرهُ فان المسيو تيرس (وكانت مهام الامور في يدهِ حينئذٍ) حسب ان مصالح انكلترا ومصالح فرنسا متضاربة في مصر فاذا ضعفت مصالح انكلترا قويت مصالح فرنسا . فأُغري محمد علي بذلك وسدَّ اذنيهِ عن نصح انكلترا ووعيدها

واتفقت انكلترا والنمسا وروسيا وبروسيا مع الباب العالي على ان تكون ولاية مصر لمحمد علي ونسلهِ من بعدهِ وتكون لهُ ايضاً الولاية على عكاء وجنوبي سورية مدى عمرهِ على شرط ان يقبل بذلك ويخرج من بقية سورية في مدة عشرة ايام . فقبل محمد علي ولاية مصر ولكنهُ ابى ان يخرج جنودهُ من سورية حاسبًا انهُ خدم الدولة خدمًا عديدة تؤَهلهُ لامتلاك سورية كلها وانتظر ان تؤَيدهُ فرنسا في ذلك . ولما مضت العشرة الايام ولم يجب الدول الى ما طلبت منهُ خرج معتمدوها من الاسكندرية واعلن الباب العالي انهُ عزل محمد علي عن ولاية مصر واستعدَّت الدول لاخراجهِ من سورية بالقوة . وثار اهالي لبنان عليهِ وهاك تفصيل ذلك منقولاً عما كتبهُ الدكتور ميخائيل مشاقه في تاريخهِ قال

"شاع سنة ١٢٥٦ هـ اتفاق الانكليز والنمسويين مع الدولة العثمانية على محمد علي وحضرت مراكبهم الى بيروت مع المراكب العثمانية وحضرت ايضًا مراكب فرنسوية وهي غير متحدة معهم وكان الظاهر لمصر ان فرنسا تدافع عنها ولذلك توقف المصريون عن قبول ما عُرِض عليهم وهو ان تكون مصر لذرية محمد علي باشا يتوارثونها الارشد فالارشد مع الاستقلال بسياستها الداخلية ويُدفَع عنها للدولة العلية ستون الف كيس كل سنة ويكون عدد عساكرهِ ومراكبهِ الحربية معينًا لا يزيد عنهُ وان بر الشام يبقى في يدهِ مدة حياتهِ فقط وما عداها مما في يدهِ

كالحجاز وكريت يرد للدولة فاذا لم يرتضِ بذلك في مدة عشرة ايام يؤْخذ بر الشام من يدهِ وتترك لهُ بلاد مصر ثم يمهل عشرة ايام اخرى فان لم يرتضِ تؤْخذ منهُ بلاد مصر ايضاً . ولولا ثقة محمد علي بمواعيد فرنسا لقبل بما عرض عليهِ اولاً

"واما ابرهيم باشا فلما تحقق عصيان اهل كسروان بمساعي السنيور وود(١) قام لمحاربتهم باثني عشر الف عسكري من المشاة وابقى شريف باشا حاكماً في دمشق وارسل حنا بك بحري ليقيم عند الامير بشير رقيباً عليهِ . ولما وصل ابرهيم باشا بجنودهِ الى كسروان قاومهُ رجالها فانكسرت الجنود المصرية مراراً وارسل قنصل الانكليز في دمشق روفائيل مشاقه الى الامير بشير ليخبرهُ عن قرار الدول المتحدة وانهُ الاجدر بهِ ان يطيع الدولة . وطُلب من الامير ان يرسل معتمداً الى بيروت لمواجهة الكومودور نبير(٢) فارسل اليهِ ابرهيم مشاقه سرًّا عن طريق صيدا وبعد المكالمة رجع الى الامير عن طريق صيدا ايضاً وذلك خفية عن بحري بك الذي أُقيم في سراي الامير ليراقب حركاتهِ وسكناتهِ . وكان من كلام الكومودور نبير لابرهيم مشاقه ان لا بدَّ من اخراج المصريين من بلاد الشام فعلى الامير بشير ان لا يغرر بنفسهِ

ولما رفض محمد علي ما عُرض عليهِ صدر الامر باخراج المصريين من سورية بالقوة ورجع بحري بك الى دمشق قبل ضرب بيروت . وفي احدى الليالي اتى السنيور مرلاتو قنصل النمسا ليسهر عندي وسيق الكلام الى حضور المراكب الى بيروت فقلت لهُ انها فعلت عين الصواب في اخذها الاماكن الضعيفة اولاً ثم يكون لها الزمن الكافي لمحاصرة عكاء . فقال أتظن ذلك فقلت لهُ هذا ما يظنهُ الجميع . فقال ان المراكب اتت بيروت اولاً لكثرة تجارة الاجانب فيها فخافت ان يقع عليها ضرر . ثم كم تظن ان عكاء تحتمل مع الانكليز. فقلت لهُ ان ابرهيم باشا حاربها سبعة اشهر ولم يكن داخلها قويًّا كما هو الآن ثم زاد في تحصينها فيجب ان تزيد قوة الانكليز على قوتهِ حسب ما زاد في قوتها . فضحك وقال يا تعس من يقاوم الانكليز . فقلت ولكن عكاء حصينة جدًّا وقد زاد ابرهيم باشا في تحصينها . فقال نعم انا اعرفها بعد تحصينها فصارت تحتمل ضرب الانكليز ست ساعات لا غير . وكان عندي حينئذٍ رجل من انسباء بحري بك وهو صديق لي وقد سمع كل ما دار بيننا من الحديث فاوجست شرًّا وخفت من بلوغ الخبر الى الحكومة المصرية فطلبت من صديقي هذا ان يذهب

(١) هو رتشرد وود احد تراجمة سفارة الانكليز في الاستانة جاء لبنان لتعلم اللغة العربية ولاثارة اهاليهِ على الحكومة المصرية (٢) هو السر تشارلس نبير امير الاسطول الانكليزي واحد القواد المشهورين

حالاً ويخبر بحري بك عن لساني بكل ما سمعهُ . ففعل وفي الصباح اتاني رسول يطلبني لمقابلة بحري بك فتوجهت اليهِ فقال حضر فلان واخبرني ما هو كيت وكيت فاريد ان اتحققهُ منك لئلا يكون قد وقع فيهِ زيادة او نقصان . فقصصت عليهِ واقعة الحال فقال اريد منك ان تستعلم منهُ هل هو على ثقة ان الانكليز والنمسويين يحاربون مع الدولة وتردّ عليّ الجواب باسرع ما يمكن . فقلت لهُ ان القنصل المشار اليهِ لا يسهر عندي دائماً واذا ذهبت اليهِ بهذا السؤال فقد يفتكر افكاراً تمنعهُ عن الاخبار بالحقيقة فارجو منك ان تمهلني حتى ارى الطريق الاصلح لذلك

وفي المساء جاءني القنصل وكان حضورهُ اليّ في ليلتين متواليتين نادراً فقلت لهُ بعد حديث طويل انني لا ازال افتكر بقولك ان عكاء تؤخذ في ست ساعات ثم هل انت واثق ان المراكب اتت بيروت لصيانة اموال الاجانب فقط او هي مأمورة بالضرب مع المراكب العثمانية كما قلت البارحة . فقال ان المراكب الانكليزية والنمسوية ما حضرت الاّ للضرب واما الفرنسويون فيبقون على الحياد

وفي الصباح ذهبت الى بحري بك واخبرتهُ بما سمعتهُ فاكفهرّ وجههُ واستعادني الحديث فاعدتهُ فقال الله يجازي الفرنسوي اذا بقي على الحياد لانهُ بذلك يخرب بيت افندينا ولولا مواعيدهُ بالمساعدة ما كان افندينا يخالف رأي الانكليز ويجعلهم لهُ خصوماً . فقلت لهُ ان بونابرت الذي ازعج ملوك الارض عجز عن عكاء وكان لها سور واحد وكان داخلها جزار باشا وجنودهُ لا تساوي طابوراً واحداً من العسكر المصري والآن صارت عكاء ذات سورين وزاد تحصينها عن الاول وفيها عسكر ابرهيم باشا لا عسكر الجزار الضعيف . فقال ان الذي اعجز ابرهيم باشا عن فتح عكاء ليس تحصينها بل قوة الانكليز التي اتت ضدهُ وزاد عليها انقلاب جمهورية فرنسا عليهِ وقطعها عنهُ المدد وتعمُّدها اهلاكهُ في هذه البلاد فاضطرّ ان يقوم عن عكاء والاّ فما هي عكاء وما كان اعظم منها بالنسبة الى اقتدار الملوك العظام فلو كانت قوة الاتراك وحدها موجهة ضد افندينا ما كان يبالي بها مهما كثرت عَدَداً وعُدَداً وانت شاهدت بنفسك حربهُ في حمص وكيف كان الجمهور الكبير من الاتراك يهرب من وجه القليل من العسكر المصري . ثم ما كفانا مقاومة العدو القادم علينا من الخارج حتى اننا صرنا مضطرين لمقاومة موارنة شمالي لبنان الجاحدين لمعروف الدولة المصرية مع النصارى

فقلت لهُ أتسمح لي ان اتكلم بالحرية ام ابقى صامتاً فقال بل اود ان تتكلم بكل حرية عن كل ما يلوح في فكرك وبالاخص عن احوال جبل لبنان وماذا يصلح فسادها لانهُ اذا

كان لبنان معنا فهو الحصن لنا لا عكاء وانت تعرفهُ جيداً فلا بدَّ من انك تعرف ما يصلحهُ وما يفسدهُ

فقلت ان من القواعد المقررة بالاختبار ان المغتصب لبلاد اذا لم يحسن سياستها واحدث فيها غير المألوف عند اهاليها فلا بدَّ ان تصير لغيرهِ كما صارت لهُ . فاولاً ان لبنان كان يدفع الى خزينة الولاية الفين وثلاثمائة كيس كل سنة فزدتم عليهِ اربعة آلاف كيس كل سنة ودائماً تطلبون منهُ رجالاً لمعونتكم وقت الحرب بدون اجرة فيتعطلون عن اشغالهم اللازمة لمعيشة عيالهم ويُقتَل منهم كثيرون . وليس افقر من اهالي لبنان في كل بلاد الشام نعم انهُ يخرج منهُ حرير من الف الى الف وخمسمائة قنطار ولكن هذه اكثرها من املاك الامراء والمشايخ والرهبان واهالي المدن كبيروت وطرابلس فالاهالي يبقى لهم القليل من حاصلات الجبل وهم نحو ثلثمائة الف نسمة وليس عندهم ارض لزرع الحبوب فيضطرون ان يشتروها من الخارج

ثانياً اي رئيس عشيرة ابقيتموهُ ولم تهينوهُ وتنزعوا بلادهُ من يدهِ نعم ان الامير بشيراً بقي على لبنان كعادتهِ بامر خصوصي من محمد علي باشا ولكن بعد ان رتَّبتم على فقراء بلادهِ اربعة آلاف كيس سنوياً زيادة عن المرتَّب قبلاً حتى بلغ المطلوب ثلاثة اضعاف ما كان يطلب عادة وما كفى حتى تماديتم في اعمال تهين شرف اسمهِ بطلبكم منهُ تسليم اللاجئين اليهِ لكي يتوسط عندكم في الرأفة بهم ولما ارسلهم اليكم قطعتم رؤُوسهم بدلاً من قبول وساطتهِ

ثالثاً ان اهالي سورية لم يعتادوا العبودية كاهالي مصر الذين اعتادوها من زمن الفراعنة فقد اسرعتم الى استعبادهم باخذ اولادهم للعسكر من غير ان تعينوا أجلاً محدوداً لخدمتهم فالذي يؤْخذ ابنهُ يعلم انهُ لا يرجع اليهِ الاَّ اذا لم يعد يصلح للحرب ولا للعمل اذا بقي سالماً ثم انهم يأْخذون الوحيد لوالديهِ ولا يراعون حالهما ولا صغر اطفالهِ وشدَّة حاجتهم اليهِ فهذهِ الامور كافية لتنفير الناس منكم اما التجار واصحاب الاموال فيرغبون في بقاء الحكومة المصرية لحفظ الامن وتحصيل الحقوق . وشمالي لبنان كان من قبل استيلاء المصريين على سورية ناقماً على الامير بشير وقد نشأَت فيهِ فتنة جسيمة سنة ١٨٢١ وكان الاكليروس يعضد الاهالي والبطريرك يصمت عنهم ولا سيما البطريرك يوسف حبيش

فقال ومن اين تعلم ان البطريرك لا يميل الى الامير مع انهُ من طائفتهِ

فقلت هذا اعرفهُ من قبل انتظامهِ في سلك الكهنوت وقد كان اسمهُ الشيخ يعقوب حبيش كنت اتعلم عند اولاد فرنسيس باز في حوالي سنة ١٨١١ وكان الشيخ يعقوب هذا يقيم في دير القمر مدداً طويلة لدرس الشريعة على الشيخ شرف الدين القاضي مع خصم لهُ اسمهُ الشيخ

شمسين وهو من حزب الشيخ جنبلاط. وكان الشيخ يعقوب يمضي اكثر اوقاتهِ عند اولاد باز يتذاكر مع احدهم في علوم اللغة وكان ينسب عدم نجاح دعواهُ الى رغبة الامير بشير في اذيتهِ بكلام يدل على عظم كراهتهِ لهُ وحقدهِ عليهِ . اما جنوبي لبنان فاذا لم يتدارك امرهُ امتدت الفتنة اليهِ لان الموارنة نحو نصف اهاليهِ والمشايخ الذين يربطونهم مع الدروز حتى يكونوا يدًا واحدة هم آل جنبلاط وعماد ونكد المنفيون الى مصر فاذا أُرجعوا الى اوطانهم وطيبت خواطرهم فبواسطتهم يثبت جنوبي لبنان ويخشاهُ شماليهُ فهذا الذي اظنهُ وقد اكون غلطانًا

فقال وانا من رأيك والاجدر بنا احضار المشايخ من مصر

ثم ان المراكب ضربت بيروت واستولت عليها فورد امر من ابرهيم باشا الى شريف باشا بان يحجز على قنصلي انكلترا والنمسا في بيتيهما ويضع خفراء من العسكر على بابيهما . وبعد ايام ورد كتاب من ابرهيم باشا الى شريف باشا يقول لهُ فيهِ ان بيت قنصل الانكليز لهُ بابان فما المنفعة من وضع الخفر على واحد منهما . وكان ذلك صحيحًا . وكانت المكالمات مع دروز حوران تتم في بيتي بواسطة الترجمان وكنت افعل ما يلزم لقنصل الانكليز من المكالمات وتوزيع الاعلانات سرًّا لا كرهًا بالحكومة المصريَّة ولا حبًّا بالحكومة التركية بل لانني منتمٍ الى الدولة الانكليزيَّة وخدمتها واجبة عليَّ لانني من مأموريها فعندما كانت تساعد المصريين كنت اسير حسب رغبتها وعندما صارت تساعد الاتراك صرت اساعدهم معها وفي الحالتين ابذل جهدي لكي لا اضرَّ احدًا بل اساعد كل احد حسب طاقتي

ثم حاق الفشل بالعساكر المصريَّة لان رجال كسروان اتتهم الاسلحة والمهمات الحربية والعساكر المصريَّة ملَّت مواصلة الحروب . ولما رأى ابرهيم باشا تأخر عساكرهِ سار بهم الى زحلة غربي البقاع حاسبًا ان خصومهُ يطمعون ويتبعونهُ وهناك سهل فسيح تسهل فيهِ الحركات العسكريَّة فيفتك بهم لكن اهالي الجبل لم يتبعوهُ بل اكتفوا بخروجهِ من بلادهم

وفي غضون ذلك استولت الدولة على مدينة صيداء. وصدر الامر الى الامير بشير لينزل اليها في يوم معيَّن فيفوَّض اليهِ حكم الجبل . فارسل الى حفيدهِ الامير مجيد لكي يتخلَّص من معسكر ابرهيم باشا ويأتي اليهِ مسرعًا وطلب من اندراوس مشاقه ان يحصي ما عندهُ من النقود في دار الحريم فاحصاها فوجدها ثمانية آلاف وثلاثمائة وسبعين كيسًا وهي تساوي حينئذٍ اربعة وستين الف ليرا فرنسوية (٦٤ الف بنتو) . فامرهُ ان يضع الثمانية الآلاف في اكياس ويكتب على كل كيس مقدار ما فيهِ ويضعها في صندوق ويأتيهُ بمفتاحهِ . فعمل

كما امرهُ وقال لهُ ماذا افعل بباقي الدراهم فاجابهُ ابقها لنرسلها الى البطريرك (بطريرك الموارنة) . فقال ان سيدنا البطريرك لا يحتاج الى النقود وهي الزم لسعادتك مما هي لهُ . فتنهّد الامير وقال ان ارسالي النقود الى البطريرك الزم لي من كل نفقاتي

ولما بلغ الامير مجيداً امر جدهِ احتال وتخلّص من العسكر المصري ولكنهُ لم يصل الى جدهِ الاَّ في اليوم الذي عيّن لهُ ليصل الى صيداء بجميع اولادهِ واحفادهِ . ولما وصل صيداء خرج خالد باشا للقائهِ بالعساكر واحتفل بهِ كثيراً وكتب الى بيروت عن وصولهِ الى صيداء فأتى الامر ان يمضي الى بيروت فمضى فلاموهُ على تأخرهِ ولم يقبلوا لهُ عذراً وخيّروهُ في الاقامة حيث شاء الاَّ في سوريا وفرنسا فاختار الاقامة في مالطة وامهلوهُ ليرتّب اموره . وارسل اليهِ البطريرك الخوري نقولا مراد ليكون معهُ لاجل الخدمة الدينية وهو في الحقيقة رقيب عليهِ . فسار الامير بكل عائلتهِ وخدمهِ الى مالطة

وبقي ابرهيم باشا في زحلة . وشاع في دمشق ان فردوس بك اتى الى اخوتهِ في دمشق وهو ابن علي آغا مملوك ناصيف باشا العظم الذي كان مع الصدر الاعظم في محاربة الفرنسوية بمصر سنة ١٨٠١ وتزوج علي آغا بابنتهِ وولد لهُ منها بنون وبنات وتزوج شريف باشا واحدة منهنّ . وكان فردوس بك مع عساكر السلطان . وذات يوم طلبني بحري بك وسألني قائلاً هل علمتَ بقدوم فردوس بك الى دمشق فقلت سمعت بقدومهِ ورأيت اخاهُ عاكف بك في احد البيوت وسألتهُ عنهُ فاخبرني انهُ حضر الى بيروت وليس الى دمشق . فقال بلغني انهُ حضر الى دمشق وانت طبيب تدخل كل البيوت فارجو ان تحقق لي ذلك . وكنت اعلم انهُ اتى الى حاصبيا الى الامير سعد الدين وأُلبس ملابس اهل الجبل وأُوصل الى دمشق ولكنني خفت ان أُخبر بذلك فيقبض عليهِ ويُقتَل وقلت لبحري بك ان البكوات المشار اليهم اصدقائي وانا اتردّد عليهم ولكنني لا ادخل دور الحريم لانني لست طبيبهم . والطبيب نفسهُ لا يدخل دار الحريم الاَّ اذا طلبوهُ لذلك . فقال ومن هو طبيبهم قلت روفان صيدح الذي تقصد ان تزوج ابن اخيك بابنتهِ

وكان متسلّم دمشق حينئذٍ حافظ بك بن عبدالله باشا العظم وكان من المخلصين للحكومة المصرية وهو من اقارب فردوس بك فاخبر بحري بك ان فردوس بك اتى دمشق واجتمع في بيتهِ بشريف باشا ثم عاد الى بيروت ويجب ان تخبر ابرهيم باشا بذلك فقال بحري بك وما هو الدليل الذي نثبت بهِ قولنا لو انكروهُ فقال حافظ بك هلمَّ معي نتغدَّ سوية في بيتي وهناك ترى الدليل فمضى معهُ وبعد الطعام دخلا مخدعاً واستدعى حافظ بك ولداً لاخي فردوس

بك وقال لهُ اي متى يخرج عمك فردوس من الحريم . فقال الولد ان عمي سافر منذ ثمانية ايام وما تعوَّق عندنا غير يومين . فقال لهُ اذًا ما صبر حتى قابل صهركم شريف باشا فقال الولد ان الباشا اتى الى هنا ثاني ليلة وسهرا وحدهما في القصر وسافر عمي في الليلة التالية . ثم صرف الولد وقال لبحري بك أبقي عندك شك . فاجاب كلاَّ ولكن ابقِ ذلك في سرك الى ان نخبر ابرهيم باشا ونجري حسب ارادتهِ

وكان بحري بك يكرهُ الوشاية بشريف باشا لانهُ صديقهُ ولانهما تعلما وتهذبا معًا عند عبود البحري ولكنهُ كان يخشى ان يبلغ الامر مسامع ابرهيم باشا فيرى انهُ اخفى عنهُ خبرًا مثل هذا فيبطش بهِ فاجتمع بشريف باشا وقصَّ عليهِ واقعة الحال وقال لهُ صرتَ في خطر وان هربت فقد لا تسلم وتفقد جميع اموالك ومقتنياتك واذا انا كتمت الخبر عن ابرهيم باشا فلا يكتمهُ عنهُ الذي اخبرني بهِ وحينئذٍ يحسبني خائنًا ويهلكني معك . فاتفقا على ان بحري بك يكتب الى ابرهيم باشا لكي يستدعيهُ اليهِ بكتاب يرسلهُ الى شريف باشا فورد كتاب الى شريف باشا من ابرهيم باشا يقول فيهِ لا بدَّ من المذاكرة في بعض المهام والحالة الحاضرة لا تسمح بخروجكم من دمشق فارسلوا الينا بحري بك للمذاكرة معهُ . فمضى بحري بك حالاً وقصَّ على ابرهيم باشا واقعة الحال فاستشاط غيظًا وقال لا بدَّ من قتل شريف باشا فقال بحري بك نعم ولكن لا بدَّ من النظر في العواقب قبل الحكم فان اذنتموني في الكلام اتكلم فقال تكلم

فقال ان شريف باشا ليس غريبًا عنكم بل هو من انسبائكم وقد ربَّيتموهُ واحسنتم اليهِ ورفعتم قدرهُ وقطعتم لهُ ثلاثة آلاف كيس كل سنة حال كون السلطنة لا تعطي مَن كان في رتبتهِ غير خمسة آلاف غرش شهريًّا وصار لهُ عقارات كثيرة في الاقليم المصري والشامي وزاد على ذلك انكم جعلتموهُ حكمدارًا على اقليم سورية . فهذا اذا لم يحفظ ولاءكم فهل يرجى حفظ الولاء من كل الذين دونهُ وهم ليسوا من انسبائكم ولاهم حاصلون على شيءٍ من النعم التي حصل عليها واذا كان خصومكم قد نجحوا في اغراء اعقل من تعتمدون عليهِ من انسبائكم المغمورين بانعامكم وليس عندهُ قوة عسكرية يرجونها او يتقونها فهل يؤمن انهم لا يفلحون في اغراء رؤساء عساكرنا الذين يرجونهم ويتقونهم . فالآن اذا قتلت شريف باشا نخشى ان يكون لهُ امثال في رؤساء العساكر فينفرون وتقوم الفتنة في عسكرنا ويقوى الخصم علينا ورأيي ان تنزل الى دمشق بالعساكر وتعمل هناك ما تراهُ موافقًا

فاستحسن ابرهيم باشا رأي بحري بك ونزل الى دمشق واخذت عساكرهُ تجتمع من

جميع الجهات . وأُخرج قنصل انكلترا وقنصل النمسا من دمشق وأُوصلا سالمين الى ايالة صيداء. وسارت المراكب الانكليزية والنمسوية والعثمانية الى عكاء وضربتها وامتلكتها عنوة بعد ضرب ثلاث ساعات وثلث ساعة لانهُ كان قد وصل اليها كثير من صناديق البارود من مصر وكانت ملقاة بين السورين لانهُ لم تكن المهلة كافية لتخزينها فوقعت عليها قنبلة فاشعلتها وكان لذلك فعل مدهش حمل العساكر الذين في عكاء على الهرب منها واستولت الدولة على البر المحيط بالساحل بغير حرب وكذلك استولت على البقاع حينما تركهُ ابرهيم باشا وسار الى دمشق

وسنأتي على تتمة اخبار ابرهيم باشا واخبار ابيهِ في الجزء التالي

دواء السل

من الخطبة التي القاها الدكتور بهرنغ الالماني على مؤتمر السل الذي عقد في باريس واعلن فيها اكتشافهُ دواء للسل شافياً لهُ واقياً منهُ . قال

تحققت في السنتين الماضيتين وجود جوهر شافٍ للسل يختلف كل الاختلاف عن جوهر اللقاح الذي وصفتهُ منذ ١٥ سنة

وهذا الجوهر الجديد هو العامل الاهمُّ في اللقاح البقري الذي اكتشفتهُ وجربتهُ منذ اربع سنوات الى الآن فثبتت فائدتهُ في مقاومة سل البقر

وتأْثيرهُ يتوقف على اشباع الخلايا او الحويصلات الحية في جسم الحيوان مادةً تستخلص من سمّ التدرن أُسمّيها (TC)

ومتى صارت هذه المادة (TC) قسمًا من حويصلات الحيوان الذي يعالج بها وحولتها تلك الحويصلات من حالٍ الى حالٍ فاسمّيها حينئذٍ (TX)

ومادة (TX) وبعبارة اصحّ (TC) توجد في ميكروب التدرُّن ولها خواص غريبة فتكون بمثابة شيءٍ لازم لقوام الميكروب ولحلول الاختمار فيهِ وتحليلهِ . ومن خصائصها انها تجعل بعض المواد ثابتة ولها خاصة التمثيل في بعض الحالات . ويقال بالاختصار انها الجوهر الحيُّ في الميكروب

وعندي انهُ اذا لُقحت المواشي لوقايتها من التدرُّن تحرَّرت مادة (TC) التي في

الميكروب من المواد التي تكون قد امتزجت بها عرضاً والّفت بين العناصر الخلوية التي داخل الخلايا الآلية وخصوصاً ما كان مصدره في مركز الانسجة اللمفاوية وهي سبب ردّ الفعل الذي يحدث بعد التلقيح بلقاح كوخ من الجهة الواحدة وسبب الوقاية من التدرن من الجهة الاخرى

وقد طال بي المطال وكثرت امامي الصعوبات قبلما توصّلت الى ما تقدم في ادراك ماهية اللقاح الواقي من التدرن . ولولا اطلاعي على مباحث متشنكوف في الكريات البيضاء وفعلها في مقاومة ميكروبات الامراض ما ادركت الفرق بين الوقاية الحادثة في خلايا الجسم والوقاية الحاصلة في رطوباته

ولوشئت تفصيل الادلة على صحة قولي لقضيت في ذلك عدة ساعات . ولكني اكتفي الآن بوصف طريقة العلاج الجديدة التي توصلت اليها من درس التدرن درساً علمياً . واعتقادي ان هذه الطريقة الجديدة تقي المعرضين للسل من عواقب عدواه . وقد علمني الاختبار ان امتنع عن ادخال ميكروبات التدرن الحية الى جسم الانسان مهما كانت الغاية من ذلك . وعليهِ فان علاج الناس لوقايتهم من السل بدأ باكتشافي علاجاً اتقدم الآن لوصفهِ لكم فاقول

واضح مما تقدم انني بذلت اقصى الجهد لاكفي الجسم العناء والخطر اللذين يترتبان على توليد مادة (TC) فيهِ فعملت التجارب في آنية زجاجية وفزت بالمطلوب اذ استبدلت الوقاية الحاصلة من الداخل بوقاية آتية من الخارج . ولم أُسرّ في عمري قط كما سررت ايام كنت أُراقب الحلقات السببية التي تصل ما بين التلقيح والوقاية حتى تجلّت لي باوضح مظاهرها من فضل التجارب العديدة التي جربتها في المواشي

وخلاصة ابحاثي انهُ يقتضي لتجريد مادة (TC) من المواد التي تعوق عملها الشفائي التمييز بين ثلاثة انواع من المواد الميكروبيَّة وهي

(١) مادة تذوب في الماء القراح فقط ولها خاصة اختمارية تحليلية . ومن هذه المادة تتألف عناصر لقاح كوخ السامة (توبركولين) وأُسميها (TV) . ولادراك قوتها التلقيحية اقول ان قوة غرام جافٍ منها تفوق قوة لتر من لقاح كوخ

(٢) مادة هلامية تذوب في محلول ملح متعادل مثل محلول من الملح العادي فيهِ ١٠ في المئة ملحاً وقد سميت هذه المادة (TGL) وهي سامة مثل لقاح كوخ

(٣) مواد اخرى غير سامة تذوب في الكحول والاثير والكلوروفورم وغيرها

وبعد ما يحرَّر ميكروب التدرن من هذه الانواع الثلاثة من المواد الغريبة يبقى جسم سميتهُ "الميكروب الباقي"

وهذا الميكروب مثل ميكروب التدرن في شكلهِ وفي قابليتهِ للتلون ويمكن تغييرهُ حتى لا يبقى لهُ شكل مخصوص وحتى اذا لقّحت بهِ خنازير غينيا او الارانب او الغنم او المعزى او البقر او الخيل امتصتهُ حويصلاتها اللمفاوية وغيرتهُ فصارت بهِ اكسيفيلية . وفي اثناء ما يحدث من التغيير في الخلايا بفعل مادة (T C) ينال الجسم الوقاية

ومن الامور الجوهرية ان في مادة (T C) قوة لتوليد التدرن وان تكن هي نفسها لا تتوالد والدرن الذي يتولد منها لا يجبّن ولا يلين

وقد اتضح لي من تجارب عملتها في حيوانات مختلفة من ذوات الثدي ان مادة (T C) التي توجد من قبل في ميكروب التدرن يمكن تربيتها في آنية زجاجية بحيث يستخلص منها علاج يمكن استعمالهُ في الناس بلا ضرر

وأرى من اللازم ان يمتحن العلماء الذين يشتغلون بهذا الفنّ في المستوصفات الاخرى فعل علاجي في الحيوانات ويتأكدوا انهُ لم يكتشف علاج مثلهُ قبل الآن

ومعلوم عندكم ان لقاح كوخ ولقاحهُ الجديد (T R) ولقاح مراجليانو ولقاح مرمولاك وغيرها من المستحضرات لها بعض التأثير الشافي او الواقي بشهادة اصحابها . ولكن غيرهم جربوها وخصوصاً في خنازير غينيا فلم تسفر تجاربهم عن النتائج المرضية . اما انا فاؤمل ان يكون علاجي نافعاً وان العلماء الذين اسلمهُ اليهم ليجرّبوهُ يفوزون بنتائج حسنة مثل التي فزت بها انا او احسن

هذا واني ارجو منكم ان لا تنسوا ان اكتشافي الذي اعلنهُ اليوم يذكرنا باكتشاف علاج الدفثيريا الذي اعلنتهُ سنة ١٨٩٠ وقد أيدت التجارب فائدتهُ بما لا يترك مجالاً للريب فيهِ. وقد مضى على اكتشافي الاول نحو اربع سنوات قبلما صار موضع ثقة الاطباء ولو لم يقم صديقي الدكتور رو في بودابست و يساعدني على مقاومة الدفثيريا قاتلة الاطفال لاضطررت ان انتظر زماناً اطول حتى يتحقق الناس صحة قولي وفائدة اكتشافي

ولا ادري كم من الوقت يمضي قبلما يصبح اكتشافي الجديد موضع ثقة الناس بهِ وتحقق فوائدهُ

طلاق

الامبراطورة جوزفين

رأى قلبهُ من قلبها ما يكابدُ   فنازعهُ فيها الهوى والمقاصدُ
رأى حبّهُ معبودها وفؤادها   يدق كما دق النواقيس عابدُ
رأى دمها وجدًا رأى وجدها دمًا   فغيّب عنهُ الرأيَ ما هو واجدُ
رأى قلبها كاللؤلؤ الرطب ناضرًا   فأشفق ان تُلقى عليهِ الجلامدُ
فتًى جاهد الدنيا وجاهد اهلها   وفي نفسهِ لم يدرِ كيف يجاهدُ
اقامت لهُ الايام صدر امورها   وفي صدرهِ همٌّ من الحب قاعدُ
بكى وبكت "جوزفين" حزنا وقلبها   على قدميهِ من جوى الحب ساجدُ
ولما أضا برق المنى في فؤادهِ   لها ايقنت ان سوف تدوي الرواعدُ (١)

***

يقولون هذا ليثنا اين شبلهُ   ألم تدرِ ان الدهر يا ليث صائدُ
فمن يرث التاج الذي انت تاركهُ   ومن ينتضي السيف الذي انت غامدُ
ومن يلجُ الباب الذي قد فتحتهُ   ومن خلفهِ الدنيا وتلك الفراقدُ
واي جبين فيهِ سيماك بيننا   واي فؤاد فيهِ سرّك خالدُ
سيظلم عرش الشمس ان غاب بدرهُ   ولم يكُ مولود عليهِ ووالدُ

***

اتثبت هذي الارض لاثنين مثلهُ   وقد هزّها ما بين كفيّهِ واحدُ
فأولى بنابليون نسلٌ من السما   يجاهد في افلاكها ويجالدُ
لتنضمّ في املاكهِ الارض كلها   ونبتون في جوّ السما وعطاردُ
ويرميَ ذاك النسر ظل جناحهِ   الى حيث لا يرقى من الوهم صاعدُ
كفى الارضَ ما نالتهُ من مَطَراتهِ   لكل اوانٍ زارعون وحاصدُ

***

ويوم تولّى برجهُ شرُّ كوكب   فدارت على اقطابهنّ الشدائدُ

(١) يشير ببرق المنى الى رغبة نابليون في الاولاد وبالرواعد الى ما سيكون من كلمات الطلاق

ومدّ عليهِ النحس ظلّ كآبةٍ تغشّتهُ حتى كلٌّ ما فيهِ كامدُ
كأن خيال الموت مدّ طرافهُ عليهِ فكلٌّ ساهم الخد جامدُ
كأنّ لهيب الشمس في مهجة الهوى فللشمس جرمٌ اكمد اللون باردُ
اذا كان في الايام ايمانُ رحمة فيومك يا جوزفين فيهنّ جاحدُ
صرخت فردّ الجو انفاس اهلهِ ليصعد صوت من فؤادك شاردُ
ليصعد صوت العدل لله شاكياً عليهِ يمينٌ من بكاكِ وشاهدُ
ليبلغ سكان السماء تنهدٌ من الارض اذ جوٌّ الفضيلة راكدُ
لتضطرب الارواح من ظلم اهلها لتصرخ في سرِّ القلوب المحامدُ
فقد نزعوا قلباً وتاجاً ونعمةً وزوجاً ولم يفقد كهاتيك فاقدُ
رموا قلبك المكسور في مَطرَح النوى يطارد من آفاتهِ ما يطاردُ
ولا فخر للانثى سوى ضبط قلبها تقرّ بهِ أنّى تشأ وتباعدُ

•••

دوَتْ قصفَات الدهر وانطوت المني وغطت سماء النصر تلك المكائدُ
وجاء وليٌّ التاج والتاج ذاهب وحلّت اماني الدهر والدهر زاهدُ
واصبح ركن العرش كالغصن مائلاً على كل ريح لا يرى من يُساندُ
ودارت بنابليون في النحس دورةٌ تقابل فيها حظهُ والنواكدُ
وقصوا جناحي نسرهِ بعد ان دوى لخفقهما جوٌّ العلى والفدافدُ
فيا نسر ماذا يصنع الفرخ بعدها وقد حطمت ظفريهِ هذي المباردُ
تركت له مُلكاً بغير رعيّة وكفًّا ولكن ليس في الكف ساعدُ
وبوأتهُ عرشاً اذا ما ادّكرتهُ لقيت كما يلقى الخيالات راقدُ
جنيت عليهِ بالسياسة قبلها بلَى قد جنتها قبل ذاك العوائدُ
اتذكر اذ عاندت قلبك جاهداً فهذا الذي قد كنت فيهِ تعاندُ
وكذّبتهُ والقلب صوتٌ من السما ولولاهُ ما سدّدت إذ انت قائدُ
والزمتهُ نصح الورى وهو مبصر وللعين لا للقلب تُعطى المراودُ
فما قتلتك الحادثات وانما أرتك دم القلب الذي انت فاصدُ

مصطفى صادق الرافعي

شمول مذهب النشوء

[وهو القسم الثاني من خطبة دارون القاهُ في جوهنسبرج بالترنسفال . اما القسم الاول فالقاهُ في مدينة الراس قبل الثاني باسبوعين وقد نشرناهُ في العدد الماضي]

كان مدار بحثنا فيما مرَّ على الاشياء الصغيرة التي لا تكاد تُتصوَّر لصغرها ومرادي الآن ان ابيّن ان ما يجري بين الدقائق والجواهر الصغيرة يجري ايضاً بين الاجسام الكبيرة . فأتقدم اولاً الى الفلك وابدأُ بالاقدار الصغيرة متدرجاً منها الى الظواهر الفلكية الكبرى فاقول

وضع الفلكي الالماني بود قاعدة بسيطة للابعاد التي تفصل بين الشمس والسيارات . وقد صحت هذه القاعدة على السيارات كلها ما عدا نبتون حتى لا نرى لنا مناصاً من الاعتقاد ان السيارات كلها كانت منطبقة عليها

هذا وان الاسباب التي افضت الى هذه القاعدة البسيطة لم تعلم بعد ولكن يمكننا ادراك بعض كنهها من النظر الى ما يأتي

تصوَّروا شمساً يدور حولها سيار كبير في دائرة . واسمي هذا السيار زفس اذ يمكننا تشبيههُ بالمشتري اكبر سياراتنا . ثم افرضوا ان نيزكا او سياراً صغيراً رمي في الفلك الذي يتحرك زفس فيهِ فكيف تكون حركتهُ . قد يظهر لاول وهلة ان هذا السؤَال مما تسهل الاجابة عنهُ والحقيقة ان حلهُ اعضل على الرياضيين فلم يهتدوا بعد اليهِ . على اننا نعلم ان النيزك المرميَّ يرسم دائرة كثيرة التشويش والارتباك طوعاً لجذب الشمس والسيار فتارةً يسير سيراً بطيئاً على بعد شاسع من الشمس والسيار وطوراً يمرُّ بسرعة عظيمة قرب احدهما . وعندما يمرُّ قرب احدهما فقد يتفق انهُ يدنو منهُ الى حدّ ان يكاد يصطدم بهِ ثم ينجو بنفسهِ ولكن لا بدَّ ان يأتي زمان يصطدم فيهِ بالشمس او بالسيار فتكون بذلك آخرتهُ اي انهُ يتحد باحدهما والغالب ان يتحد بالشمس

ثم لنفرض بدل النيزك الواحد مئات من السيارات الصغيرة او النيازك تدور حول الشمس وزفس في جميع الجهات . ولما كانت كلها صغيرة جدًّا فان جذب بعضها لبعض لا يعتدُّ بهِ لضعفهِ وعليهِ فانها تتحرك حول الشمس وزفس كما لو كان لهما وحدهما تأثير في حركتها دون غيرها . وتكون النتيجة ان الشمس تجذب اليها معظم تلك النيازك وتبتلعها وان زفس يصطدم بالبقية القليلة ويجذبها اليهِ

ورب سائل يسأل وكم يطول عمر النيزك من ابتداء حركتهِ الى انتهائها . والجواب ان

عمره يتوقف على جهة حركتهِ وسرعتهِ وانهُ يمكن اطالتهُ بتكييفهما. فاذا أطلنا عمره بتأخير اوان الاصطدام الى ما لا نهاية له دار حول الشمس وزفس ولم يصطدم باحدهما ابدًا

اذًا هناك أفلاك يمكن ان يدور نيزك او سيّار صغير فيها الى الابد ولا يصطدما بشيء فاذا عُرف ذلك وجب علينا ان نعرف ايضًا هل اذا طرأ على ذلك السيار الصغير طارئ ينحرف بهِ اقلّ انحراف عن سيرهِ يزيد ذلك الانحراف شيئًا فشيئًا على مرّ الزمان حتى يفضي اخيرًا الى اصطدام السيار بالشمس او بزفس او انهُ يبقى يسير في خط فلكهِ الجديد ولا يحيد عنهُ الى الابد . فاذا زاد الانحراف على مرّ الزمان كان الفلك غير ثابت والاَّ فاذا كان الانحراف قليلاً غير متزايد فالفلك يبقى ثابتًا غير متغير

وعلى ذلك فالافلاك نوعان نوع ثابت وهو الاقل ونوع غير ثابت وهو الاكثر . والأُولى هي الافلاك التي تصلح للبقاء فتبقى والثانية هي التي لا تصلح له فتزول . فاذا فرضنا وجود نظام مؤلف من شمس وسيار كبير وعدد من الاجسام الصغيرة السائرة في كل جهة فان الشمس والسيار يكبران بما ينضمّ اليهما من تلك الاجسام السائرة على توالي الايام فيبقى عدد قليل من السيارات الصغيرة والاقمار يتحرك في دوائر وافلاك محدودة وتكون النتيجة نظامًا محكم الترتيب تنتظم افلاك سياراتهِ على حسب ناموس محدود

على ان مسألة هذا النظام البسيط لم تحل حتى الآن حلاً تامًّا فلم تكتشف بعد طريقة لمعرفة حركات الافلاك الدائمة ولا اهتدى احد الى ما يفرق بين الثابت وغير الثابت منها . ولكن العلماء شرعوا في معرفة بعض المناطق المحيطة بالشمس وزفس حيث يمكن وجود الافلاك الثابتة وحيث لا يمكن وجودها ولا يكاد يكون ثمة اقلّ ريب في انهُ اذا حلّت مسألة نظامنا الشمسي حلاً تامًّا وجدنا ان افلاك السيارات والاقمار التابعة لها من الافلاك الثابتة الدائمة فنصل الى تفسير قاعدة بود تفسيرًا رياضيًّا فيما يخصّ ابعاد السيارات

وان الانسان ليدهش مما يرى من المشابهة العمومية بين المسائل المختصة بالذرات الدائرة في افلاك حول الجواهر وبين السيارات والاقمار الدائرة حول الشمس . ولعلكم تذكرون اني بحثت قبلاً في ما اذا كانت الالكترونات الدائرة في افلاك الجوهر ابدية غير متغيرة وان المشابهة بينها و بين غيرها من النظامات المتحركة تدلّ على انها كذلك . واهمّ نظام خطر على بالي حينئذٍ النظام الشمسي . فان الافلاك التي اشرت اليها سابقًا انما تكون دائمة حين تكون الاجسام التي تدور فيها صغيرة الى النهاية ولا تلقى مقاومة في دورانها . ولكن الاجسام الصغيرة الى النهاية غير موجودة ومن رأي اللورد كلفن وبوانكاره انهُ لا بدَّ من وقوع

الخلل في اي نظام كان من نظامات الاجسام المتحركة حتى في الاجسام ذات الافلاك الثابتة وهذا بصرف النظر عن المقاومة التي تلقاها تلك الاجسام من اعتراض بقية غاز منتشرة في الفضاء ووقوفها في سبيلها . فالثبوت اذا نسبيٌّ لا مطلق وما من نظام الاَّ وفيهِ ما لا بدَّ ان يفضي الى خرابهِ ولكن لا نقلق لذلك ولا نيأَس فان في النظام الشمسي بزور خراب ودمار اخرى يرجح ان تنبت وتثمر قبل حدوث الطارئة الاولى

***

شرحت في ما تقدَّم الرأْي القائل بتكوُّن الشمس والسيارات من تجمع النيازك تدريجاً فهو يفرض وجود النيازك ولا يذهب الى ما وراء ذلك اي قبل ان وجد جسم كثيف مركزي او شمس يدور حولها جسم كثيف آخر . ولكن قام منذ اكثر من قرن مَن حاول الذهاب الى ما وراء ذلك وسعى في الوقوف على تاريخ الشمس والسيارات قبلما صارت اجساماً كثيفة بانياً سعيهُ على فرض غير ما تقدَّم عن تركيب النظام الشمسي الاوَّلي . ومن رأْيي ان المذهب الذي بسطتهُ آنفاً والمذهب الذي سابسطهُ الآن كليهما يتضمن حقائق جوهريَّة وان ما بينهما من التناقض الظاهر لا بدَّ ان يزول في مستقبل الايام . اما المذهب الذي ساشرحهُ فهو المذهب السديمي المشهور اول من قال بهِ كنت الفيلسوف الالماني ثم اعلنهُ لابلاس الرياضي الفرنسوي من غير ان يعلم بما قالهُ كنت وعلى صورة اوضح

ذهب لابلاس الى ان اصل النظام الشمسي سديم او سحابة من الغاز اللطيف متجمعة حول مركز كثيف هو اصل الشمس . وكان الكلُّ يدور دوراناً بطيئاً على محور مارٍّ في مركزهِ حتى استدار وتسطح عند قطبيهِ بسبب دورانهِ وجذب الغاز بعضهِ لبعض . وقد ايَّدت ارصاد الفلكيين هذا الفرض فانهم اكتشفوا في السماء سحباً عديدة من السديم واثبت السبكترسكوب ان نورها مشتقٌّ من الغاز . ولا ريب ان السديم الكروي الاول جسم ثابت وعليهِ فان مذهب لابلاس يطابق الناموس العمومي الذي ذكرتهُ آنفاً

وبعد ذلك اخذ السديم يبرد تدريجاً بالاشعاع الى الفضاء ففقد الغاز جانباً من مرونتهِ ونتج عن فقدهِ لبعض مرونتهِ ان قلَّت قوة مقاومتهِ للجاذبية فاخذ يتجمع حول المركز المتكاثف ويتقلَّص ونقلُّصهُ افضى الى نتيجتين لازمتين على موجب نواميس الميكانيكيات الاولى ان حرارة المركز المتكاثف علت والثانية ان دورتهُ اسرعت . ونتج عن اسراع دورتهِ زيادة تسطحهِ من قطبيهِ فاتخذ شكل عدسية او شكل قرص اكثف في الوسط منهُ في المحيط

ومن هنا يبتدئ التعقيد والاشكال وتعرض الشكوك في هذا المذهب . فقد زعم اصحابهُ

ان السديم ما زال يرقُّ حتى لم يعد يستطيع البقاء على حالهِ فانفصلت منهُ حلقة خارجية وحينئذٍ عادت اجزاؤهُ الوسطى فاتخذت الشكل الكروي الذي كان لهُ اولاً وعادت ترقُّ ثانية بسبب اسراع دورتها حتى انفصلت حلقة اخرى . ودامت الحال على هذا المنوال حتى انقسم السديم كلهُ حلقاتٍ تحيط بالمركز المتكاثف . ولا بدَّ ان تكون حرارتهُ قد بلغت حينئذٍ درجة البياض

ثم جعلت كلُّ حلقة تجتمع حول نواة اكثف من غيرها اتفق وجودها في محيطها فتألف من ذلك سديم ثانوي مرَّ في الادوار التي مرَّ السديم الاول فيها ثم تحوَّل سيارًا تتبعهُ اقمارهُ

هذا وان التلسكوب يؤيد مذهب لا بلاس بوجه عامّ . فالسديم الكبير الذي في المراة المسلسلة انما هو مثال لنظام لا يزال في طور التكوُّن ففيهِ نرى المركز المتكاثف يحيط بهِ سديم حلقيّ وفي احدى الحلقات مركز ثانوي متكاثف او نواة ثانوية

على ان في كلّ درجة من درجات العمل صعوبة او عقبة يستحيل علينا تمهيدها فنسأل مثلاً ايمكن كتلة غاز على غاية اللطافة والرقة ان تدور كلها كما لو كانت قطعة واحدة او ليس الارجح ان يكون هناك دردور مركزيٌّ سريع تحيط بهِ اجزاءٌ تدور دورانًا بطيئًا . وما هي الاسباب التي تؤيد قول من يقول ان الحلقات انفصلت بفعل فواعل متقطعة او ليس المرجح انها تكونت من غاز يشعُّ من الجهات الاستوائية فيها اشعاعًا متصلاً غير متقطع

والظاهر ان حلقة زحل هي التي حملت لا بلاس على القول بالمذهب المتقدم ولكن اتخاذ تلك الحلقة قياسًا يقاس عليهِ يقودنا الى صعوبة جوهريَّة لا مخلص لنا منها . ولبيان ذلك اقول انهُ اذا اجتمعت دقائق المادة على شكل حلقة بجذب دقائقها بعضها لبعض فانما تجتمع حول مركز الثقل لتلك الحلقة كلها ثم تهبط اليهِ وتتحد بمادتهِ . وعليهِ فلا بدَّ من قوة اخرى خارجية غير جذب دقائق الحلقة بعضها لبعض ليتيسر لها التجمع وهذه القوة لا ذكر لها في مذهب لا بلاس . والطريقة الوحيدة للتخلص من هذه الصعوبة ان يفرض ان الحلقة مستطيلة او غير متوازنة اي انها اكثف واثقل في جانب منها في الجانب الآخر وحينئذٍ تجتمع الدقائق حول نقطة داخل الحلقة ولكنها ليست في السيار . ويزعم كثيرون من العلماء ان الابعاد التي بين السيارات والشمس الآن تدل على سعة الحلقات الاصلية ولكن ذلك ليس صحيحًا لان دقائق الحلقة انما تجتمع حول مركز ثقلها وهي حجة لم يقل بها احد قبلي على ما اعلم

ثم ان تجمُّع دقائق الحلقة غير المتوازنة حول نقطة داخلية يولّد ضرورة سيارًا يدور دورانًا مماثلاً لدوران الحلقة الاصلية اي في جهة دورة الارض . ولكن السيار نبتون

واقماره تدور دورانًا متقهقرًا . واغرب من ذلك ما اكتشفهُ بكرنج حديثًا وهو ان القمر التاسع من اقمار زحل يدور دورانًا متقهقرًا واما السيار نفسهُ وحلقتهُ واقمارهُ الثمانية فتدور دورانًا مستقيمًا (اي ان القمر التاسع يدور من الشرق الى الغرب وزحل نفسهُ وسائر اقماره تدور من الغرب الى الشرق) ثم اني اشك في ما اذا كان التلسكوب يؤيد مذهب لابلاس حقيقة فان ما نراه بهِ يدل على ان السديم ينفصل على شكل لولبي لا حلقي

وليس المقام مقام افاضة وتفصيل فما تقدم يكفي لبيان ان المذهب السديمي لا يمكن ان يعوَّل عليهِ برمتهِ مهما تضمن من الحقائق الراهنة

⁂

قلنا في المذهب الاول الذي بسطنهُ امامكم عن اصل الشمس والسيارات انها تكوَّنت من تجمُّع النيازك الشاردة الآبدة في الفضاء وهذا يخالف مذهب لابلاس مخالفة جوهرية ولكن عنَّ لي منذ عدة سنوات رأي اوفق فيهِ بين هذين المذهبين . فان الغاز ليس مادة متصلة بل يتألف من عدد عظيم من الدقائق وهي تتحرك في كل جهة بسرعة عظيمة فتتلاحم وتتصادم . وقد قلت سابقًا انهُ اذا كثر التصادم بين مجموع من النيازك نشأ عن ذلك مادة لها كثير من صفات الغاز الميكانيكية مما يطابق الشروط التي وضعها لابلاس . وعليهِ يمكن حسبان السديم شبه غاز دقائقهُ النيازك ويكون النور الغازي الذي ينبعث من السديم ناشئًا عن اصطدام النيازك . واما النيازك نفسها فلا ترى اذ لا نور فيها . وقد حلَّل السر نورمن لكير طيف السديم بالسبكترسكوب فاستدل منذ زمن طويل على ما يشبه هذا الرأي

على انني لا اريد ان اتشبث برأيي هذا لان مجموعًا من النيازك لا يستطيع المحافظة على صفات الغاز الميكانيكية الا الى زمان محدود . وزد على ذلك انهُ يصعب علينا ان ندرك كيف ان مجموعًا من النيازك المتحركة في كل جهة ظهر الى عالم الوجود كما قال الاستاذ تشمبرلن

تقدم القول انهُ اذا شئنا تفسير تكوُّن السيارات على حسب مذهب لابلاس وجب ان تكون الحلقات غير متوازنة او متقطعة . فاذا كان لا بد من ان نفرض الحلقة بعيدة عن الكمال الى حدّ ان لا تشغل سوى قوس صغيرة من الدائرة كان الأسهل لفهم الاطوار التي تقلبت السيارات واقمارها عليها ان تفرض كروية الشكل او ما يقارب الكروي منذ بداءتها. وهذا الفرض يصل بنا الى مباحث حاول الرياضيون تفسير تكوُّن السيارات واقمارها بها على طريقة تظهر لاول وهلة مناقضة لمذهب لابلاس

ولا يخفى ان حلَّ مسألة النشوء والارتقاء يتضمن البحث في الصور والاشكال الدائمة

والثابتة التي يسميها البيولوجيون انواعاً · والانواع التي ساتكلم عنها الآن يمكن ان تدرج تحت جنس شامل يتضمن جميع الصور المتنوعة التي يمكن ان يتخذها سائل يدور وهو معرَّض لعاملين الجاذبية والدوران· فلنبدأ اذًا بسيَّار كان سائلاً يدور مثل الارض ولنتصوَّر ان سرعة دورانهِ اخذت في الزيادة نجد بالحساب ان قوة مقاومتهِ لما قد يطرأ عليهِ من الاضطراب تصير اقل مما كانت عليهِ اولاً . وبعبارة اخرى ان ثبوتهُ اي بقاء شكلهِ على حالهِ يقلُّ بزيادة سرعتهِ حتى يبلغ حدًّا يزول ثبوتهُ عندهُ · ويصير شكلهُ حينئذٍ عرضةً للتغيُّر لان هذا الحدَّ بدءُ نوع جديد تختلف صفاتهُ عن صفات النوع الذي قبلهُ وتكون درجة ثبوتهِ او قدرتهِ على الاحتفاظ بشكلهِ ضعيفة جدًّا . وكلما زادت سرعتهُ يزيد ثبوتهُ اولاً حتى يبلغ معظمهُ ثم يأخذ يقلُّ حتى يدخل في دور انتقال جديد ويتحول نوعاً جديدًا · وهكذا يمرُّ من نوع الى نوع بزيادة السرعة

واول انواع السيارات مستديرعند خطهِ الاستوائي مثل الارض· والثاني يضوي يشبه بيضة موضوعة على مائدة وهي تدور على جنبها . والثالث بيضوي ايضاً ولكن احد طرفيهِ آخذ في الانتفاخ حتى ينتأ منهُ ويصير كوصلة متصلة بهِ واخيرًا يصير النتوءُ كالبصلة ويبقى متصلاً بالجرم الاكبر من السائل بعنق مستدقة ثم تندقُّ العنق فتنفصل البصلة عن بقية الجرم فيصيران جسمين منفصلين يمكن تسميتهما بالسيار وقمرهِ · والحقُّ يقال ان هنا الانفصال خياليٌّ فرضيٌّ لان الرياضيين قصروا عن تتبُّع هذا العمل من اولهِ الى آخرهِ

هذا وان تحوُّل الانواع في الفرض الخيالي المتقدّم تمَّ بزيادة سرعة دوران السائل زيادة تدريجية · وقد يظهر ان هذه الزيادة المستمرة اعتباطية لا مثيل لها في الطبيعة ولكن الاجسام الحقيقية تبرد وكلما بردت تتقلص والتقلص يفعل في شكلها فعل زيادة السرعة وعليهِ فان ما تحدثهُ زيادة السرعة التي قد تظهر اعتباطية قد يحدث عن التبريد ايضاً. ثم ان الاشكال التي رسمتها بعد الحساب الدقيق عن حالة السيارات واقمارها في الدرجات الاخيرة من نشوئها وارتقائها تذكرنا ببروز البروتوبلازم من كتلة مادة حية ولعلنا نرى في ذلك ما يشبه شكلاً واحدًا على الاقل من اشكال تولد الكواكب المزدوجة والسيارات والاقمار

وقد كان نيوتن اول من عيَّن الشكل الاول من الاشكال المذكورة آنفاً بطريقة حسابية وتلاهُ جاكوبي فقال بالشكل الثاني ثم بوانكاره فقال بوجود شكل ثالث · وقد ظفرت انا بتعيين حدود الشكل الذي قال بوانكاره بوجودهِ تعييناً مدققاً و بالبرهان على انهُ شكل حقيقي ثابت

فهذه المباحث تبين لنا تكوُّن الاقمار على طريقة أكثر اقناعاً مما في مذهب لابلاس . ولا ينكر ان ما يترتب على ما افترضهُ لابلاس فيهِ كثير من الصحة ولكن تحوُّل الانواع على ما في المذهب الآخر اقرب الى الفهم . وعليهِ يرجح ان كلا المذهبين يتضمن حقائق لا ريب في صحتها وان كلاً منهما يفضل الآخر من بعض الوجوه

هذا وان جرم القمر اي مادتهُ جزءٌ من ثمانين من جرم الارض على حين ان جرم تيتيان أكبر اقمار النظام الشمسي جزءٌ من ٤٦٠٠ من السيار التابع لهُ وهو زحل . فبناءً على هذا الفرق العظيم بين جرم قمر الارض واقمار السيارات لا يبعد ان تكون طريقة انفصال قمرنا عن الارض مختلفة عن طريقة انفصال الاقمار الاخرى عن السيارات التابعة لها . والمذهب الذي ساشرحهُ الآن يفترض وجود القمر اصلاً في مكان لا يبعد كثيراً عن سطح الارض الحاضر ثم ابتعادهُ عنها تدريجاً . فاذا صحَّ هذا المذهب امكننا ان نفرض ان القمر انفصل عن الارض قطعةً واحدة لا حلقة غازية على ما في مذهب لابلاس فاقول

اذا كان وجه السيار مغطًّى ببحور من الماء والهواء او كان السيَّار مؤلَّفاً من صخر مائع يقبل شكلهُ التغير من حال الى حال فلا بدَّ من تكوُّن امواج مدٍّ في اجزائهِ المتحركة طوعاً لجذب اقمارهِ والشمس لهُ . وهذه الامواج تقاوم دوران السيار بقوة الفرك حتى تعوقهُ عن الحركة رويداً . ولما كان الفعل وردُّ الفعل متساويين ومتضادين فان فعل الاقمار في السيار وهو ما يسبّب فرك المدِّ المذكور آنفاً يقابل ردَّ فعل من السيار في الاقمار فيؤثر في حركتها

واذا فرضنا النظام المؤلف من السيار والقمر التابع لهُ نوعاً ثابتاً من الحركة فان فرك المدِّ يدخل قوَّات تحدث تحوُّلاً مستمرّاً بطيئاً في شكل هذا النظام . فمن المهمّ اذاً ان نعود بعين الخيال الى الماضي ونتتبع سلسلة التغيرات التي نشأت عن سبب دائم العمل مثل هذا (المدّ) لنعلم الحالة الاصلية التي انحطَّ السيار وقمرهُ عنها شيئاً فشيئاً . وان ننظر بعين الخيال ايضاً الى المستقبل لنرى الى ايّ حدٍّ يصل بنا هذا التحوُّل . فلنبحث اذاً في دوران الارض والقمر معاً حول الشمس مفترضين ان فرك المدّ في الارض هو الفاعل الوحيد الذي يحدث تغييراً فيها

من المعلوم ان القمر يدور حول الارض على بعد ٢٤٠ الف ميل عنها ويتمُّ دورتهُ حولها في ٢٧ يوماً . ولما كانت الارض تتمُّ دورتها على محورها في ٢٤ ساعة فسرعة دورتها ٢٧ ضعف دورة القمر وفرك المدّ يبطئ حركتها . وعليهِ فلنعد بعين الخيال الى زمان كان طول اليوم فيهِ ٢٣ ساعة و٢٢ و٢١ و٢٠ وهلمَّ جرّاً الى ان نصل الى زمان كان اليوم فيهِ اقصر من ذلك ولكن ردَّ فعل القمر كان عاملاً في تلك المدة كلها فنتج عنهُ ان القمر كان يتمُّ دورتهُ حول

الارض في زمان اقصر من الزمان الحاضر و بالتالي ان الشهر القمري كان اقصر منهُ الآن . وهذه النتائج حقائق رياضية لا ريب فيها وان يكن ما يطرأ على حركة الارض والقمر من التغير يوماً بعد يوم لا يكاد يشعر بهِ ولا يقاس ولو بادق المقاييس الفلكية

ولنفرض ان معنى "اليوم" الوقت الذي تقضيهِ الارض في دورانها حول محورها بصرف النظر عن طوله . وان معنى "الشهر" الوقت الذي يقضيهِ القمر ليتمَّ دورتهُ حول الارض بصرف النظر عن طولهِ ايضاً . فنقول انهُ وان تكن عدة ايام الشهر الآن ٢٧ يوماً واليوم والشهر كانا اقصر في ما مضى مما هما عليهِ الآن فليس ثمة ما يدلنا على ان ايام الشهر كانت اكثر او اقلّ من ايام الشهر الآن . لانهُ ان كان اليوم يطول الآن باسرع مما يطول الشهر فقد كانت ايام الشهر في ما مضى اكثر منها الآن وان كان الشهر يطول الآن اكثر مما يطول اليوم فقد كان عدد ايام الشهر اقل مما هو الآن

و يظهر من الحساب الدقيق ان اليوم لا بدَّ وان يطول الآن اكثر من الشهر ولذلك فقد مرَّ زمان كانت فيهِ ايام الشهر اكثر منها الآن اي انها كانت ٢٩ يوماً بدلاً من ٢٧ يوماً كما هي الآن . ولكن ذلك الزمان كان شبه فارق في تاريخ القمر والارض لان اليوم كان يقصر قبلهُ بابطأ مما كان الشهر يقصر . وعليهِ فقبلما كانت ايام الشهر ٢٩ يوماً مرَّ زمان كانت فيهِ مثلما هي الآن اي اقل من ٢٩ يوماً

وهذا يوصلنا الى نتيجة غريبة وهي ان معظم ما بلغتهُ ايام الشهر ٢٩ يوماً فلم تزد على ذلك البتة وان الارض والقمر جازا هذا الفارق حديثاً . ولكن الزمن الحديث في تاريخ الارض طويل جدًّا قد يكون ملايين من السنين

واذا عدنا القهقرى الى ما وراء ذلك وجدنا اليوم والشهر آخذين في القصر الى ان نصل الى زمان كانا فيهِ متساويين وكلٌّ منهما اربع ساعات او خمس . وحينما كانا كذلك كان القمر مواجهاً لجانب واحد من الارض دائماً فكان وجه واحد من الارض يقابلهُ دائماً كما ان وجهاً واحداً منهُ يقابلها الآن . وكان القمر حينئذٍ قريباً من الارض على بضعة الوف من الاميال عنها وهو الآن على ٢٤٠ الف ميل

ويمكن ان يُستدل من ذلك على ان القمر انفصل عن الارض قُبَيل الزمن المشار اليهِ آنفاً . وعلى هذا دليل اقوى وهو ان الحالة الابتدائية التي كان فيها القمر يجب ان تكون حركتهُ فيها غير ثابتة حتى ينتقل من حال الى حال

وقد رأينا في الكلام على حركة الجسم السائل انهُ يميل الى ان ينقسم قسمين ولو تعذَّر

علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الدقيقة التي يتم فيها هذا الانقسام . وكذلك اذا تتبعنا تاريخ جسمين كانا جسماً واحداً واحدهما لا يزال قريباً من الآخر صعب علينا ان نصل بالحساب المدقق الى الزمن الذي كانا فيهِ جسماً واحداً

هذا من حيث ماضي الارض والقمر اما من حيث مستقبلها فاليوم الارضي والشهر القمري يطولان الآن شيئاً فشيئاً لكن اليوم يطول اكثر مما يطول الشهر فسيأتي زمان يتساويان فيهِ كما كانا متساويين في الزمان الماضي وحينئذٍ يصير طول كل منهما ٥٥ يوماً من ايامنا ولا يرى القمر حينئذٍ الاَّ وجهاً واحداً من الارض كما كان الحال حينما انفصل عنها في سالف الزمن ولكنْ بين الحال الاول والاخير بوناً شاسعاً لان الحال الاول كان قليل الثبوت واما الحال الاخير فيكون كثير الثبوت

ثم ان النسبة بين القمر والارض متبادلة فيصح ان تحسب الارض قمراً للقمر . واذا كان القمر يدور على محورهِ كما كان يدور اولاً على ما يرجَّح فالارض كانت تحدث فيهِ مدّاً وجزراً كما يحدث فيها الآن . وهو اصغر من الارض كثيراً ففعل الارض بهِ اشد من فعلهِ بها ولذلك تدور ادوارهُ باسرع مما تدور ادوارها فقد بلغ الحالة التي نحسب ان الارض ستبلغها في مستقبل الزمان وهو يرينا الآن وجهاً واحداً كما ستريهِ الارض في المستقبل البعيد

واذا تساوى الشهر القمري واليوم الارضي ولم يكن في الكون غير الارض والقمر بقي هذا التساوي الى ابد الآباد ولكن الشمس تغيّر هذه النتيجة وتبعد زمن التساوي ولا البحث في ذلك لان في النظام الشمسي ما يقضي بانحلالهِ قبل ذلك الزمن على ما يرجح

هذا من حيث الارض وقمرها اما باقي السيارات واقمارها فلا يصدق عليها ما صدق على الارض وقمرها ولذلك يبقى الاعتماد على مذهب لابلاس لتعليل انفصال الاقمار الاخرى عن سياراتها

ثم ان مسألة الزمن الذي تكوَّنت فيهِ العوالم من اكثر المسائل اشكالاً فاذا اعتمدنا على مذهب لابلاس وهو المعروف بالراي السديمي لم نجد فيهِ ادنى مقياس للزمن وكذلك اذا اعتمدنا على الرأي النيزكي الذي يفرض ان الاجرام السموية تكونت من التقاء النيازك الصغيرة بعضها ببعض وتكوُّن الاجرام الكبيرة من مجموعها لان التقاءها هذا يقتضي ملايين الملايين من السنين ولمُّ ما بقي من شعثها يقتضي ملايين اخرى ولم يزل هذا اللمُّ جارياً حتى الآن كما يرى من النيازك الكثيرة التي تجذبها الارض اليها كل سنة . وغاية ما يُقال عن الزمن الذي يتطلَّبهُ هذان المذهبان انهُ طويل جداً جداً اذا قدّر بالسنين

ولا يقاس من كل الافعال التي فعلت في تكوُّن العوالم الاَّ الفرك الناتج عن المدّ والجزر فاذا كان هذا الفرك قد فعل منذ تولَّد القمر كما يفعل الآن فالزمن الذي مرَّ من حين تولد القمر الى الآن لا يقل عن ستين مليون سنة ولا بدَّ من ان يكون اطول من ذلك كثيرًا. ولا نبالغ اذا قلنا انهُ من خمس مئة مليون الى الف مليون سنة

وهذا الزمن ليس طويلاً في عرف الجيولوجيين الذين قدَّروا عمر الارض بوسائل اخرى تقريبيَّة مثل سمك الرواسب ومقدار ما تجرفهُ الامطار والانهار من الارض سنويًّا فوصلوا الى ان الزمن الذي مرَّ على الارض طويل جدًّا يقدر بمئات الملايين من السنين وهو بين مئة مليون والفي مليون سنة

وقد قدَّر جولي عمر الارض على اسلوب ادق من غيرهِ وذلك انهُ لما بردت الارض كان الماء كلهُ بخارًا يحيط بها فلما تكاثف وصار ماء كان كلهُ عذبًا لا ملح فيهِ ثم صارت الامطار تقع على الارض وتذيب الملح من صخورها وتجري بهِ الى البحر فاخذ البحر يملح من ذلك الحين. ويسهل علينا الآن ان نعرف مقدار الملح في ماء البحر كلهِ ومقدار ما يصل اليهِ منهُ كل سنة بما ينصبُّ فيهِ من الانهار

فاذا قسم مقدار الملح الذي في ماء البحر على مقدار الملح الذي يصل اليهِ كل سنة عرف من ذلك عدد السنين وهو نحو مئة مليون سنة. فقد مرَّ مئة مليون سنة من حين شرعت الامطار تهطل على الارض. وفي هذا الاسلوب ابواب واسعة للخطإ لكنهُ لا يزال ادق من كل الاساليب الجيولوجية التي امكن الوصول فيها الى تقدير عمر الارض بالسنين. ويمكنني ان اقول بنوع عام ان الادلة الجيولوجية تجعل عمر الارض بين خمسين مليون سنة والف مليون سنة والزمن الاول اقرب الى الصحة من الزمن الاخير ولذلك لا شيء فيها يناقض مذهب المدّ المتقدم ذكرهُ

الاَّ ان علماء الطبيعة يقدرون عمر الارض باقل من ذلك كثيرًا فانهم يحسبون حرارة الشمس حاصلة من تقلصها ومن وقوع النيازك عليها. وجرم الشمس معلوم فيعلم منهُ مقدار الحرارة التي تشع منها مهما كان مصدرها. ويعلم ايضًا مقدار الحرارة التي تصل الى الارض كل سنة واذا قسم مقدار الحرارة التي كان يمكن ان تتولد من جرم الشمس على مقدار الحرارة التي تشعُّ منها في السنة ظهر ان السنين لا تزيد على عشرين مليون سنة وذلك يقضي بان يكون عمر النظام الشمسي نحو عشرين مليون سنة لا غير

هذا دليل هلمهلتز وهو مبطل لتقدير الجيولوجيين اما انا فكنت اعتقد دائمًا ان تقدير

الجيولوجيين اصح من تقدير الطبيعيين

والآن كُشف ما يوفق بين المذهبين وهو الراديوم الذي قوتهُ تفوق قوة الديناميت الوفًا من المرات على ما يظن فقد قدَّروا ان في الاوقية منهُ ما يرفع عشرة آلاف طن مسافة ميل فوق سطح الارض وان ٢٢ اوقية منهُ تكفي لتسيير سفينة كبيرة محمولها ١٢٠٠٠ طن مسافة ستة آلاف ميل بسرعة ١٥ ميلاً بحريًّا في الساعة. وقد اثبت المسيو كوري وزوجتهُ ان الراديوم يشع الحرارة من تلقاء نفسهِ فان كان في الشمس قليل منهُ كفى لتعليل ما يصدر منها من الحرارة. والادلة متوفرة الآن على وجود الراديوم فيها مع ان هذا البحث لا يزال في طفوليتهِ وعليهِ فليس في الدليل الطبيعي الذي ذكرهُ هلملتز ما ينقض ادلة الجيولوجيين من حيث طول الزمن الذي مرَّ على الارض من حين تكوَّنت الى الآن

بابُ تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

فتح الشبابيك ليلاً

كان الاطباء منذ عهد قريب لا يعتدُّون بتهوية المنازل في علاج الادواء بل كانوا يحتقرون كلَّ طبيب يصف لمسلول فتح الطاقات والشبابيك ويتهمونهُ بقتلهِ عمدًا ولكن آراءهم تغيَّرت تغيُّرًا عظيمًا بعد ذلك فصاروا يصفون تهوية المنازل في جميع الامراض تقريبًا ويعدُّونهُ العامل الاكبر في معالجتها والشفاء منها . وقد اثبت الاختبار والفحص البكتيريولوجي ان نور الشمس والهواء النقيَّ اقتل الاشياء لجراثيم الامراض وميكروباتها

ومبدأ علاج الامراض بالهواء النقي هو انهُ بدلاً من استعمال الوسائط الصناعية كالعقاقير الطبية لتقوية الجسم في مقاتلة الميكروبات الضارَّة التي تسطو عليهِ يفضَّل استعمال القوى الطبيعية لبلوغ تلك الغاية فيكون التأثير اشدَّ والنتيجة اثبت واذا كان استخدام القوى الطبيعية لمقاومة الامراض التي تفتك بالجسم يفيد الفائدة المطلوبة فأحرِ بها ان تستخدم لصيانتهِ منها وتحصين اسوارهِ دونها فلا تقوى على دخول ابوابهِ . فان منع الداء قبل دخولهِ ايسر من طردهِ بعد حلولهِ

ومن الغريب ان الانسان لا يحتمل الاقامة طويلاً في غرفة قد أُغلقت شبابيكها نهاراً ومع ذلك تراهُ ينام ثماني ساعات متوالية او اكثر في غرفة أُغلقت شبابيكها ليلاً ولا يبالي ولعلَّ لذلك سببين الاول انهُ اذا فسد هواء الغرفة لم يشعر النائم باقلّ انزعاج واذا شعر بضعف وصداع نسبهما الى اسباب اخرى غير فساد الهواء . والثاني اعتقادهُ ان ما في الابواب والشبابيك من الشقوق المؤذنة للهواء يكفي لتجديد هواء الغرفة . نعم ان الهواء يتجدد بعض التجدد بواسطة الشقوق ولكن ذلك لا يكفي ولا يعتدُّ بهِ

هذا وان جسم الانسان اشبه شيء بمستنبت للميكروبات . والميكروبات منها ما هو نافع ومنها ما هو ضارٌّ . وفي الجسم خلايا خصوصية متفرقة هنا وهناك تثير على الميكروبات الضارة حرباً عواناً فهي حماة الصحة . وسلاحها الوحيد الذي تحتاج اليهِ في حربها انما هو الاكسجين ومصدرهُ الهواء النقي والغذاء الكافي فالميكروبات التي تلتقي بهذه الخلايا ينالها ما ينال البزور التي تقع في تربة صخرية

على ان كثيرين يعترضون على تهوية غرف النوم ليلاً باربعة امور الاول ان هواء الليل مضرٌّ . والثاني ان فتح الشبابيك يعرّض النائم للمجاري الهوائية . والثالث انهُ يعرّضهُ للبرد . والرابع ان هواء الليل كثير الرطوبة . وهي اعتراضات لا صحة لها فان هواء الليل ليس مضرًّا بل هو انقى من هواء النهار لقلة الغبار والدخان ليلاً . اما المجاري الهوائية فيمكن تجنبها اما بوضع حاجز بين سرير النائم والشباك المفتوح واما بفتح الشباك كلهِ فتقل سرعة الهواء الداخل منهُ . وعليهِ فكلما وسّع الشباك قلّت سرعة مرور الهواء فيهِ وقلّت المجاري الهوائية . اما البرد فيمكن تجنبهُ بزيادة الغطاء . واما الرطوبة نخير ما يقال فيها ان الهواء في غرفة النائم المغلقة اكثر رطوبة من الهواء الخارجي لكثرة ما تفرزهُ الرئتان منها

ويقال اخيراً انهُ ظهر من علاج السلّ في السنوات الاخيرة ان نور الشمس والهواء النقي اضمن الاسباب لحفظ الصحة ومقاومة المرض وانهما يفعلان ما لا تفعلهُ جميع العقاقير

عطر الورد

ان كثيرات يفضلنَ عطر الورد على غيرهِ من العطور وهو غالي الثمن ولكن النقطة منهُ تعطر زجاجة او خزانة فاذا وضعت ١٢ درهماً من السبيرتو في حنجر وصببت عليها نقطة واحدة من عطر الورد الصحيح فيكون من ذلك عطر جيد لتعطير المناديل

واذا نقَّطت نقطةً واحدة من عطر الورد على منديل ووضعتهُ تحت المناديل انتشرت الرائحة العطريَّة فيها كلها

واذا مُلئَ حنجر واسع الفم بالقطن ونقطت فيهِ ثلاث نقط من عطر الورد بعد ان تمزجها باثنتي عشرة نقطة من الغليسرين ووضع في درج على جنبهِ تعطَّر كل ما في الدرج من الثياب

واذا مزجت الغليسرين بقليل من عطر الورد وصببتهُ على سبيخة من القطن ووضعتها في خزانة الثياب لا تلبث ان تتعطر الثياب برائحتها

وقد جرت العادة الآن ان تعطَّر الحلى بوضعها في علبة فيها حشايا معطَّرة

الشعر وماء البحر

ماء البحر يضرُّ الشعر فيجب على السيدات اللواتي يغتسلن في البحر ان يقين شعرهنَّ منهُ واذا تبلَّل الشعر بماء البحر وجب غسلهُ بالماء السخن حالاً بعد الخروج من البحر ودهنهُ بسائل يقوي الشعر . ولا بدَّ من نزع كل آثار الملح من بين الشعر والَّا اضرَّت بهِ . واذا تشققت اطراف الشعر فاحرقها مرة كل شهرين او ثلاثة

اللبن (الحليب)

اللبن طعام يجلب السمن لشاربهِ على شرط ان يلائم مزاجهُ . فاذا شرب بارداً وجب ان يمتصَّ شيئاً فشيئاً وذلك لانهُ متى بلغ المعدة تخثَّر بسبب حموضتها فاذا جرع كما يجرع الماء تخثَّر كتلاً كبيرة يعسر على العصارة المعدية اختراقها لهضمها . ويحسن مزج اللبن بقليل من ماء الجير

منع سقوط الشعر

من الوصفات الحسنة لمنع سقوط الشعر ان يؤخذ ٣٠ نقطة من صبغة الذرَّاح (كنثريدس) ونصف ملعقة من الملح العادي و ٦ اواقيّ من الروم ثم تمزج معاً ويفرك بها الموضع الذي اخذ الشعر يسقط منهُ فاذا جفَّ الشعر فليدهن بقليل من زيت الخروع

فائدة الماء السخن

اذا شرب الماء السخن كلَّ ليلة قبل النوم اصلح الهضم وأبعد الأرق وحسَّن رواء الوجه واذا احسَّ احد بألم في ظهرهِ فليضع عليهِ كيساً من الماء السخن او بألم في رأسهِ فليضعهُ على قفاهُ . واذا التهبت العينان فلتغسلا بالماء السخن او تعبت القدمان فلتغطسا فيهِ

فائدة التربنتينا

اذا دهن مكان الحرق بزيت التربنتينا زال المهُ وسهل شفاؤُهُ . واذا دهنت بهِ البثور منع ورمها . واذا رشَّ نقط منهُ في الصناديق والادراج والخزائن سلمت الملابس التي توضع فيها من العثّ

غسل الاطفال

عند ما يغسل الطفل يجب ان تكون حرارة الماء معتدلة وواحدة وتقاس حرارتهُ بتغطيس المرفق فيهِ لا اليد . ويجب ان تكون الغرفة التي يغسل فيها حارَّة غير معرَّضة للمجاري الهوائية . ويجب ان لا يغسل الطفل بعد الطعام رأساً خشية ان تنتابهُ نوب عصبية

نوم الاطفال

يجب ان ينوَّم الاطفال في غرفة فتحت نوافذها قليلاً لتهويتها وان تكون الغرفة معرضة لنور الشمس فقد ورد في بعض الامثال القديمة انهُ حيث لا تدخل الشمس يدخل الطبيب

نزهة الاطفال

يجب ان يخرج الطفل للنزهة مهما كانت عليهِ حالة الهواء الاَّ اذا كان متوعك المزاج . فان اخراجهُ للنزهة في يوم دون آخر يعرّضهُ لكثير من الادواء

باب المراسلة والمناظرة

قواد الغرب وقواد العرب

سيدي العالمين منشئي المقتطف الفاضلين

التمس منكما ان تنشرا لي هذه الجملة على صفحات المقتطف ولكما الشكر سلفاً

بينما كنت اسرح ناظري في رياض المقتطف الزاهر عثرت على جوابكم لسؤَالي في العدد الثامن عن حجة تؤَيد افضلية قواد العرب كقتيبة وغيرهِ على قواد الغرب كنبوليون وغيرهِ كما ذهب حضرة الكاتب الفاضل رفيق بك العظم ورأَيتكم تتجافون عن الحكم الفصل

في هذه المسألة لانكم قلتم ان المقابلة بين القواد العظام ليست بالامر السهل بل هي تقتضي نصباً كبيراً للوصول الى الضالة المنشودة . فها كم بعض الوجوه التي اذا روعيت حق الرعاية دلَّت دلالة صريحة على اخذ قواد الغرب كنبوليون المحل الاول واخذ غيرهم من قواد الارض المحل الثاني . ان عظمة نبوليون لم ينلها صدفة او اتفاقاً بل هي متسببة عن مواهب كانت في دماغهِ ولم تكن في دماغ غيرهِ وهو القائد الذي صادر الدول الاوربية على ما بها من فخامة الملك ونازل ملوكها في بلادهم واستطاع ان يستظهر عليهم في مواقع عدة مع انهم كانوا متعاونين عليهِ عاقدين النية على اجتياح دولتهِ واقتلاع جرثومتهِ . ويعلم الذين قرأوا تاريخ نبوليون ان الاحوال التي وجد فيها لم تساعدهُ على صيرورتهِ من اكبر القواد المعدودين في الارض انما الذي جعلهُ خليقاً بذلك هو ذكاؤُهُ وعزمهُ وحزمهُ . ثم اننا اذا نظرنا الى موسى بن نصير مثلاً ومولاهُ طارق اللذين فتحا اسبانيا نجد ان احوال زمانهما كانت لهما من المنشطات المشجعات خلافاً لنبوليون فان احوالهُ كانت من المضعفات المثبطات واليك بيان ذلك . لما عزم العرب على فتح اسبانيا كانت قد ساد فيها الفساد وانتشر الضعف حتى لما دخلها العرب لم تكن لتقوى على مقاومتهم ناهيك عما جرى من الخيانة في تسليم البلاد لخلف بين زعماء الامة ورؤَسائها وقس على ذلك كل فتوحات العرب . وقد ذهب فلاسفة العمران الى ان فلاح العرب كانت علتهُ مفاسد بين دولة الروم والفرس وضعف في الدولتين فجاءتهما الدولة العربية على حين غرة واستولت عليهما غنيمة باردة ولم تلفِ وازعاً يزع او مقاوماً يقاوم فالقائد الذي فتح اسبانيا في مثل هذه الحال ليس جديراً ان يدعى اعظم من نبوليون . ويدهشني الغلط الذي ارتكبهُ حضرة رفيق بك في تفضيل موسى بن نصير او قتيبة على نبوليون بمجرد وقعة لا تستحق الذكر مع ما هو عليهِ من التضلع في علم العمران وسعة علمهِ بمثل هذه الاشياء . اما هنيبال القائد القرطاجني فلا يقل عظمة عن نبوليون فانهُ دخل منذ نعومة اظفارهِ في معارك الحياة وناصب دولة الرومان اعواماً متوالية وانتصر عليها في مواقع عديدة فخلف ذكراً لا تخلقهُ العصور بمرورها ولا تهرمهُ الدهور بكرورها . وانتصار هنيبال على دولة طار نسرها في كل جو وعقدت رايتها في كل ارض لما يوهلهُ ان يكون اعظم قائد بخلاف عبد الله الغافقي وغيرهِ من الذين لم يذكر لهم التاريخ افعالاً تجعلهم خلقاء بان يعدوا من اعاظم القواد

لما كنا نقرأ التاريخ وفلسفتهُ على العلامة الدكتور بورتر سألناهُ مرة ان يذكر لنا القواد العظام فذكر نبوليون وهنيبال والاسكندر وبوليوس قيصر ولم يذكر قتيبة ولا عبدالله بن

الغافقي ولا موسى بن نصير ولا خالد بن الوليد ولا سعد بن ابي وقاص ولا عبد الرحمان ولا ادري سبباً لذلك الآ ان اولئك القواد الذين ذكرهم راسخة اسماؤُهم وصورهم في ذهن كل مؤَرخ ومتخرج في فلسفة التاريخ لما قاموا بهِ من عظائم الافعال فتذكرهم الالسنة قبل غيرهم. وما قدَّمتهُ لا يمنع ان يكون قواد العرب من اعاظم القواد ولكنهُ يدلُّ على انهم ليسوا اعظم قواد الارض قاطبةً واعظم من نبوليون وهنيبال والاسكندر وقيصر

حمص خليل يعقوب الخوري

"مدير مدرسة انجيلية حمص"

فرس البحر

سيديَّ منشئي المقتطف الاغر

قرأت ما ذكر في باب المسائل من الجزء التاسع من المقتطف الاغر عن فرس البحر ووصفهِ وقد شاهدت هذا الحيوان عياناً ومكثت طويلاً في البلاد التي يسكنها وعاشرت القوم المولعين بصيدهِ فاتيت بهذه الرسالة لازيد القراء الكرام بياناً عن هذا الحيوان الغريب وعن الطرق التي يتخذها سكان هذه البلاد في صيدهِ فاقول :

اصطدنا بالامس واحدًا منهُ ثقلهُ نحو ٩٠ قنطارًا مصريًّا بعد ان أُطلق عليهِ ٢٩ رصاصة اصابتهُ كلها واستعملنا في جرهِ اقوى الحبال فتقطعت مرارًا وقد بقي سكان كدوك الذين يزيد عددهم عن ١٥٠٠ نفس خمسة ايام ياكلون من لحمهِ. اما الطرق التي يتبعها الصيادون في صيدهِ فتختلف على اختلاف قبائلهم فالذين من قبيلة الشلوك يصطادونهُ بالطريقة الآتية

يذهب رجل الى المكان الذي يكثر صعود الحيوان اليهِ للمرعى ويختبئ بحيث يَرَى ولا يُرى وعند صعود الحيوان يطعنهُ بحربة ذات اسنان متعددة ومشعبة الرأس كالصنارة تدخل في جلدهِ فيصير من الصعب اخراجها وقد ربط بها بحبل مصنوع من جلد فرس البحر نفسهِ قطعة من الخشب الخفيف العوَّام تدل الصياد على محل الحيوان بعد نزولهِ واختفائهِ في الماء واذ ذاك يتبعهُ عن بعد عدد كبير من الرجال بقواربهم فيمسكون طرف الحبل المربوطة بهِ الحربة ويشدونهُ فيكثر الم الحيوان من جرحهِ ودخول المياه اليهِ ويخرج الى البر فيهجمون عليهِ ويكثرون من طعنهِ حتى يموت وان لم يمت وعاد الى الماء يكون قد زاد عدد الحراب المشعبة التي في جسمهِ وكل منها قد ربط بها حبل متين يشد بهِ فلا يعود يستطيع احتمال آلام جراحهِ والاستمرار على المقاومة فيطاوعهم ويخرج ثانية الى البر فيجهزون عليهِ

وهم يستعملون في صيدهِ الحبال المصنوعة من جلدهِ لان سواها غير متين يسهل عليهِ قطعهُ والافلات منهم

اما الدينكا فالبعض منهم يصطادهُ بهذه الطريقة والبعض الآخر يغوص وراءهُ و يقتلهُ في الماء . والنوير يختبئون لهُ بين الحشائش وعند خروجهِ يضربونهُ بحربة كبيرة على قوائمهِ فتنكسر ولا يبقى لهُ قدرة على الهرب

واسلم هذه الطرق طريقة الشلوك المار ذكرها والحربة التي تستعمل تسمى عند اهالي السودان العرب "بادنجو" وباللغة الشلكاوية "لونج" . والحيوان كبير في هذه الجهات يخرج الى البر ويرعى الحشائش كالبقر وهو يقلقنا دائمًا بصوتهِ الذي يشبه قباع الخنزير ولكنهُ اعلى منهُ كثيرًا . ومن جلد هذا الحيوان تصنع الكرابيج والعصي المشهورة

كدوك في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٠٥ فؤاد مغبغب

باشكاتب مديرية اعالي النيل

تصحيح خطإٍ

الى العلامتين المفضالين منشئي المقتطف الازهر

ورد اليَّ المقتطف الاخير فاستقبلتهُ بما عودتهُ من البشر وجاءني بما عودني من جزيل الفوائد . فقلبت صفحاتهِ البيضاء فوقع نظري فيهِ على آخر ما نقلتموهُ في باب التقريظ والانتقاد من كتاب "حقوق المرأة في الاسلام" وهو

" وقف ذات يوم الامام عمر في المسجد يخطب في الناس واظهر في خلال خطبهِ انهُ يروم " ابطال عادة دفع المهر للزوجة " فقامت احدى النساء الحاضرات في المسجد وخاطبت الخليفة بصوت جهوري قائلة "يا امير المؤمنين انك لا تستطيع ان تحرمنا ما انعم بهِ علينا الله ورسولهُ . فرجع الخليفة عن عزمهِ"

فرأيت في هذه العبارة تحريفًا كبيرًا وخطأً كثيرًا لا ادري اذا كانا من المؤلف او من المعرب واحتمال كونهما من المعرب اقرب . فعدت الى الذاكرة الضعيفة فرأيتها تحفظ هذه العبارة بوجهٍ اصح . فاستمليتها فأملت عليَّ ما ارسلهُ الى المقتطف ليجود بنشرهِ كعادتهِ من الانصاف وتحرّي حقائق التاريخ

لما صعد عمر رضي الله عنهُ المنبر قال بلغني انكم تغالون في مهر الزوجة واحب ان ارجعهُ الى مثل مهر فاطمة الزهراء ابنة رسول الله وهو قليل . فقامت امرأة من المسلمات فقالت ولكن

الله يقول غير ما تقول يا امير المؤمنين فاصغى اليها وقال — وما يقول الله قالت يقول الله في كتابهِ الكريم

"وان اردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارًا فلا تأخذوا منهُ شيئًا"

فقال عمر اصابت امرأة واخطأ عمر حسين عبد الفتاح الجمل

باب التقريظ والانتقاد

شرح قانون المحاكمات الجزائية

قانون المحاكمات الجزائية في الممالك العثمانية يقابل قانون العقوبات في القطر المصري. وقد شرحهُ حضرة الاصولي الفاضل والقانوني المدقق سليم افندي رستم باز مفتش عدلية لبنان سابقًا واهدى الينا نسخة منهُ فتصفحناها بقدر ما سمح لنا الوقت فرأينا الشرح وافيًا في مقاصدهِ لا يتردد الواقف عليهِ في الحكم بان صاحبهُ الفاضل عانى فيهِ الصعاب حتى خرج صحيح العبارة مسترسلها دقيق المعاني مبسوطها . قال في مقدمتهِ

"يراد باصول المحاكمة الجزائية طريقة تحقيق الجريمة ومحاكمة فاعلها وانفاذ الحكم فيهِ ولما كان الغرض المقصود من قانون الجزاء تحديد العقاب لكل جريمة كان مرمى ذلك الغرض من اصول المحاكمة اخراج هذا الوعيد الى حيز الفعل بطريقة تعصم من الخطإِ في كيفيتهِ وبذلك تعرف اهمية اصول المحاكمة وصعوبة مسالكها . ولقد كان هذا الامر من اهم المشاغل التي تفرغ لها في جميع الاعصار كل من عُني بوضع القوانين شرقًا وغربًا حتى استفرغت آراءهم واستنفدت اعمارهم لان الخطأ في هذا الباب جسيم الغائلة وخيم العاقبة لا يقاس بهِ غيرهُ من مزلات العقل الانساني ومغالطهِ فغاية ما ينتقد بهِ على قانون الجزاء مثلاً انهُ لا يخلو عن اللين في موضع الشدة وعن الشدة في موضع اللين فالاول لا يعبأ بهِ لان الرفق بالمجرم لا يتأتى منهُ كبير ضرر اما الثاني فلا يعد جورًا ولو كان مما يؤسف لهُ لان العقوبة فيهِ واجبة وانفاذ العقاب عادل من حيث هو هو ولا يقدح فيهِ سوى الشدة لا غير وهذا مما يغتفر لهُ وخصوصًا لانهُ نادر الوقوع ولكن اين ذلك من الخطإِ الذي يقع في المحاكمة فيضل الحاكم عن سبيل الحق اذ هناك يتملص الجري من العقوبة ويقاد البريء بجريمة غيرهِ وهذا مما ترتعد لهُ فرائص العدل والانسانية"

وترى في كل فصل من فصول هذا الشرح ادلة على اعتناء الشارح ببسط الاحوال واقامة الادلة كقولهِ في الكلام على وجوب محكمة التمييز التي حُرِم منها القطر المصري قال

"(٧٩١) من ابدع ما وضعهُ الشارع عند ما سن قوانين العدلية الجديدة ومن اجلّهِ نفعاً وعائدةً طريقة تمييز الحكم اذ من المعلوم انهُ لا يمكن صون المحاكم عن الخطاء في تطبيق الاحكام القانونية على الحوادث كما لا يمكن اتفاق آرائها في تفسير معاني القانون وما غمض من دقائقهِ فلو تركت المحاكم وشأنها تفسر القانون كما ترى لتشردت احكامهُ وتمزقت كل ممزق وتباينت معانيهِ وتضاربت بتضارب الآراء في تأويلها وتفسيرها فيصير ما يقضى بهِ هنا غير ما يقضى بهِ هناك واذا تمادى الامر تصدعت وحدة القانون وانقطع نظامهُ وصار كأن لكل ولاية بل لكل قضاء قانوناً مستقلاً في ذاتهِ والحال ان الركن الاساسي في العدل التسوية بين الرعية في الاحكام القانونية فلا يصح ان يعاقب الرجل هنا على عمل يعدُّ هناك مباحاً كما لا يجوز ان تكون مدة الاستئناف في هذه الولاية عشرة ايام وفي غيرها احد عشر يوماً لان هذه تطرح من المدة يوم التبليغ وتلك لا تطرحهُ الى غير ذلك من الاختلاف في الحكم بسبب تباين الآراء واختلاف المذاهب في التفسير والتأويل . ولا يمكن تلافي هذا المحذور الاَّ بوضع محكمة سامية لكل المملكة خاصتها ان تنتقد الحكم فتؤيدهُ اذا كان موافقاً للقانون وتنقضهُ اذا كان مخالفاً لهُ وانما لا يكون لها ان تحكم بالدعوى بل تعيدها الى المحكمة ألَّتي حكمت بها او الى محكمة اخرى لتراها مجدداً من النقطة التي وقع فيها النقض فما يليها وبذلك تعلم المحاكم ما يقع من الخطاء والصواب في الحكم فتجتنب الاول وتعتمد الثاني وتجري كلها على مذهب واحد في التأويل والتفسير فيتوحد القانون في جميع انحاء المملكة لفظاً ومعنًى" انتهى

وغنيٌّ عن البيان ان احكام المحاكم المصرية صارت كثيرة التناقض والتضارب ولا سيما اذا قوبلت احكام المحاكم المختلطة باحكام المحاكم الاهلية فعسى ان يرى اولياء الامر ما يسهل لهم انشاء محكمة خصوصية لتمييز الاحكام لان محكمة النقض والابرام صارت عبثاً ثقيلاً على القضاة

والكتاب ضخم الحجم يزيد على الف صفحة مثل صفحات المقتطف ولهُ فهرس هجائي مسهب لتسهيل المراجعة . ولا غرابة اذا جاء كما وصفنا من البيان والسهولة لكثرة ما لصاحبهِ من الجولات في ميدان القضاء فقد شرح "المجلة" "وقانون الحقوق" قبلهُ وتولَّى القضاء في محاكم لبنان سابقاً وهو الآن من مشاهير المحامين فيهِ وفي بيروت

الصحة العجيبة في تطهير اناء الشبيبة

هي رسالة في بيان فضل العفاف للقس ماير الانكليزي الخطيب الشهير ترجمها الى العربية حضرة عيسى افندي الحلو في طرابلس الشام . وقد ذكر فيها الاخطار الادبية التي تعرض للشاب في سنّ بلوغهِ وما بعدهُ وقال انها ثلاثة الاغواء والخطيئة السرية الانفرادية ومعاشرة السفلة واردفها باربع حقائق وهي اولاً ان العفة دعامة الصحة . وثانياً ان الزواج ناموس مقدس والعفة واجبة فيهِ . وثالثاً ان لطالبي العفة وسائل تمهد لهم السبيل اليها . ورابعاً ان العفة مطلب الدين والآداب

والخلاصة ان هذه الرسالة جليلة في بابها . ولكن لمَّا كان الخطاب فيها موجهاً الى جميع الاحداث والشبان على اختلاف طبقاتهم وتفاوتهم في المعرفة والعمر فقد كان اجدر بها ان تكون اسهل مأخذًا وابسط عبارة لان معظم الذين يقصدون بها يشكل عليهم فهم كثير مما ورد فيها

كتاب الحيوان

لأَبي عثمان بن بحر الجاحظ البصري وهو من اوسع الكتب العربيَّة واغزرها فوائد واندرها وجودًا عندنا نسخة منهُ ليس لها الاَّ شقيقة واحدة في القطر المصري نقحها المرحوم السيد محمود الشنقيطي . وقد تولى طبعهُ الآن حضرة الحاج محمد الساسي المغربي التاجر في مصر ونشر الجزء الاول منهُ وفيهِ نحو مئتي صفحة كبيرة وسيكون الكتاب نحو سبعة اجزاء او نحو ١٤٠٠ صفحة

الجغرافية الجديدة

ألَّف هذه الجغرافية بالانكليزية حضرة الاديب احمد افندي حافظ واهداها الى سعادة سابا باشا مدير البوسطة العام ثم طبعها طبعة ثانية وهي مطابقة لبرنامج نظارة المعارف العمومية ومطبوعة طبعاً متقناً وفيها كلام ضافٍ عن مصر والسودان وسكانهما واقليمها وتجارتهما وسائر ما يتعلق بهما

قاموس انكليزي وعربي

وضعت هذا القاموس ادارة المكتبة العمومية لصاحبها الاديب سليم افندي ابرهيم صادر في بيروت ووقف على طبعهِ حضرة عزتلو الياس افندي جرجس طراد وهو يشتمل على ثلاثين الف كلمة واكثر وثمنهُ خمسة فرنكات وربع خالصة اجرة البريد

ديوان تذكار الصبا

نظم هذا الديوان الرقيق فقيد الادب المرحوم الشيخ نجيب الحدّاد فنفدت الطبعة الاولى فطبع ثانية على نفقة جرجي افندي غرزوزي صاحب المطبعة المعروفة باسمهِ في الاسكندرية فنثني على اهتمامهِ بالآداب

مراثي الشعراء

وهي المراثي التي نظمت في رثاء فقيد السيف والقلم المرحوم محمود باشا سامي البارودي جمعها حضرة الكاتب الفاضل والشاعر المجيد خليل افندي مطران صاحب الجوائب المصرية "ذكرى خالدة للفقيد" وصدرها برسم الفقيد وترجمتهِ وبعض منتخبات من نظمهِ وفصل في اخلاقهِ وشعرهِ وآخر في مشهدهِ . ويلي ذلك المراثي التي تلاها اماجد الشعراء في حفلة الاربعين ثم المراثي التي نظمها غيرهم وبعثوا بها الى حضرة جامع الديوان

التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية

اتحفنا حضرة الاديب الياس افندي انطون الياس بنسخة من كتابهِ "التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية" بعدما نفدت طبعتهُ الاولى وطبعهُ مرة ثانية مضيفًا اليهِ زيادات كثيرة وقد ضمنهُ كثيرًا من المفردات والجمل والاصطلاحات والتصاريف والمراسلات مما لا غنى لطالبي اللغة الانكليزية عن استيعابهِ

تاريخ التمدُّن الاسلامي

الجزء الرابع

يقول علماء البيان ان قول الكافر انزل السحاب المطر يطابق الاعتقاد ولكنهُ لا يطابق الواقع وقول المؤمن انزل الله المطر يطابق الاعتقاد والواقع معًا . وعلى هذا النحو جرى اكثر الاقدمين في بحثهم عن الحوادث الطبيعيَّة والتاريخية فكانوا ينسبونها الى قوة الهية لكي لا يُنسبوا الى الكفر لكن جمهور الناس لم يجروا هذا المجرى في اعمالهم فرأوا بالاختبار ان الحرث والري ينبتان البزر والخدمة والسماد يزكيانهِ فاعتمدوا على حرث الارض وريها وخدمتها وتسميدها . وان السلاح والتمرُّن على القتال ادعى للظفر من التوكل فنظموا الجنود وسلحوها ومرَّنوها . ورأوا ان العلل

المتشابهة تنتج نتائج متشابهة ففسروا حوادث الماضي بادلة الحاضر واخذوا تاريخ العصور السالفة وطبقوهُ على القواعد الكلية التي استنتجوها من تاريخ العصور الحاضرة فادركوا اسبابها ومسبباتها وصار التاريخ علماً معقولاً بعد ان كان مقصوراً على سرد الحوادث من غير ارتباط بينها ومن غير نظر في صحتها

وقد اراد صديقنا الفاضل جرجي افندي زيدان منشىء مجلة الهلال الجري على الخطة العلمية في تاريخ العرب فجمع كثيراً من موادهِ بعضها مما هو متداول من الكتب وبعضها مما يندر العثور عليهِ في المكاتب الشرقية او مما لم يعثر عليهِ الاَّ الاوربيون وبوَّب ذلك وجمع منهُ كتاباً كبيراً اصدر منهُ الى الآن اربعة اجزاء ووعد باصدار الجزء الخامس وبهِ تتمة الكتاب

وقد ذكرنا الاجزاء الثلاثة الاولى حين صدورها وامامنا الآن الجزء الرابع الذي صدر هذا الصيف وفيهِ ان اهل اللغات الاخرى في العالم الاسلامي احتفلوا بالاجزاء الثلاثة الاولى من هذا الكتاب واعجب كبار العلماء المستشرقين في اوربا بموضوعها وقد اخذوا يشتغلون بنقلهِ الى السنتهم ونشرهِ بين مواطنيهم وبعض هذه الترجمات قد طبع ونشر ولا يزال البعض الآخر تحت الطبع والآخر تحت الترجمة

وموضوع الجزء الرابع سياسة الدول الاسلامية في خمسة عصور الاول العصر العربي الاول من ظهور الاسلام الى انقضاء الدولة الاموية سنة ١٣٢ هجرية والثاني العصر الفارسي الاول من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ الى خلافة المتوكل سنة ٢٣٣ والثالث العصر التركي الاول من خلافة المتوكل الى تسلُّط الديلم سنة ٣٣٤ والرابع العصر العربي الثاني من قيام الدولة الفاطمية الى انقضائها والخامس العصر المغولي من ظهور جنكيز خان الى وفاة تيمور لنك . وقسم كلاًّ من هذه الاعصر الى فصول وابواب ضمنها كثيراً من الفوائد التاريخية التي لا يعثر عليها الاَّ في المكاتب الحافلة فكيفما قلَّبت الكتاب تجد مباحث طلية تودُّ مطالعتها وفوائد جليلة ترغب في الاحتفاظ بها والرجوع اليها لا سيما وانها مسندة الى كبار المؤرخين مثل ابن الاثير وابن خلدون والمقريزي والمسعودي والفخري وابن خلكان

واننا نؤْثر عنهُ فصلاً وجيزاً موضوعهُ الشعوبيَّة والعرب انموذجاً منهُ وهو

"وفي ايام المأمون ومن جاء بعدهُ تظاهر الشعوبية بالطعن على العرب وكان المأمون يقرّبهم ويجعلهم من بطانتهِ ويجيزهم ومنهم سهل بن هارون قيم بيت الحكمة وكان شديد التعصب على العرب وابو عبيدة الراوية الشهير وعلان الشعوبي . والف الشعوبية الكتب في ذكر مثالب العرب والردّ على القائلين بتفضيلهم على سواهم من الامم

والشعوبية يقولون بالمساواة بين بني الانسان ولذلك سموهم ايضاً " اهل التسوية " ومن اقوالهم في الردّ على العرب ان النبي نفسهُ ساوى بين المسلمين على اختلاف مللهم بقولهِ " المسلمون اخوة تتكافأُ دماؤُهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يدٌ على سواهم " وقولهِ في خطبة حجة الوداع " ليس لعربي على عجمي فضل الاَّ بالتقوى " وما جاء في القرآن " ان اكرمكم عند الله اتقاكم " . والشعوبية ينوبون بدفاعهم عن كل امم الارض في ذلك العهد الاَّ العرب فاذا افتخروا بملوكهم ذكروا الفراعنة والنماردة والعمالقة والاكاسرة والقياصرة وافتخروا بسليمان الحكيم والاسكندر الكبير وبملوك الهند . واذا فاخروهم بالانبياء والمرسلين ذكروا الانبياء من آدم الى ايامهم وانهم جميعاً من غير العرب الاَّ اربعة هم هود وصالح واسماعيل ومحمد . واذا فاخروهم بالعلم والصناعة والفلسفة ذكروا اختراع لعبة الشطرنج ورمانة القبان والاسطرلاب وفخروا بفلسفة اليونان واشعارهم وسائر علومهم وعلوم الهند والفرس وغيرهم . وبلغ من جسارة بعض الشعوبية في بعض ردوده ان قال " فما الذي تفخر بهِ العرب على العجم فانما هي كالذئاب العادية والوحوش النافرة يأكل بعضها بعضاً ويغير بعضها على بعض فرجالها موثقون في حلق الاسر ونساؤُها سبايا مردفات على حقائب الابل " [1] واستشهدوا على ذلك بابيات من اقوال العرب تدلُّ على ضعف غيرتهم على العرض وقالوا " لا يفلح العربي ان لم يكن معهُ نبيٌّ ينصرهُ " [2] وعيروهم باستلحاق الادعياء ونظموا الاشعار طعناً فيهم . وممن نظم المطاعن عليهم الحسن بن هانئ وبشار بن برد وغيرهما على ان بشاراً كان تارة مع هؤُلاء وتارة مع هؤُلاء

وقام المتعصبون للعرب فألفوا الكتب في الردّ على الشعوبية . ومن اشهر ما الف في ذلك كتاب " تفضيل العرب " لابن قتيبة وقد ردَّ الشعوبية عليهِ في مناظرات يطول شرحها . وفي كل حال فان السياسة وطبيعة العمران قضت بذهاب دولة العرب " انتهى

والكتاب على هذا النسق من جمع زبدة القضايا التاريخية وتبويبها حتى صار بها تاريخ العرب معقولاً على نوعٍ ما ولكن لا يزال فيهِ كثير مما لا يكاد يصدقهُ عاقل . وحبذا لو زادنا المؤَلف من المقابلة بين ما فيهِ وفي تواريخ الامم المعاصرة للعرب ونبَّه على كل ما لا يحتمل وقوعهُ منهُ فان التحقيق والتمحيص لازمان كالجمع والتبويب ان لم يكونا الزم منهما ولا سيما في تاريخ نصفهُ منقول عن السنة الرواة

(١) العقد الفريد ٦٩ ج ٢ (٢) ابن الاثير ٥٧ ج ٢

باب الزراعة

السكَّر وقصب السكَّر

ان الحلاوة التي في الاثمار المختلفة سببها السكَّر ولكن السكَّر الذي في القصب لا يوجد في كل الاثمار بل في بعضها فالسكَّر الذي في المشمش من نوع السكَّر الذي في القصب ولكن السكَّر الذي في العنب من نوع آخر يسمَّى سكَّر العنب كما ان الاول يسمَّى سكَّر القصب

وسكَّر القصب موجود بكثرة في القصب والبنجر السكَّري والسرغم والاناناس والقيقب السكَّري والشليخ والمشمش ومقداره فيها مختلف كما ترى في هذا الجدول

في قصب السكر	من ١٥ الى ٢٠ في المئة
وفي البنجر	من ٨ الى ١٨ "
وفي السرغم	من ٩ الى ١٤ "
وفي الاناناس	١١ "
وفي القيقب السكري	٥ "
وفي الشليخ (كبوش القش)	من ٥ الى ٦ "
وفي المشمش	من ٥ الى ٦ "

ويوجد سكر القصب على قلة في الجمَّار واصول الذرة

وقد جيءَ بالسكر الى بلاد اليونان من المشرق في عهد الاسكندر المكدوني واستعمله اطباء اليونان في علاج الامراض وكان الفرس يستخرجونهُ في القرن الثامن للميلاد . ونقل العرب زرع قصب السكر الى صقلية واسبانيا في القرن العاشر ونقلهُ الاسبانيون الى جزائر مدايرا والى برازيل والهند الغربية وانشأ الاوربيون معامل تكرير السكر في بلادهم الى ان قام بونابرت ومنع جلب السكر غير المكرر الى اوربا سنة ١٨٠٦ فضعفت صناعة تكرير السكر من القصب ونشأت صناعة استخراج السكر من البنجر

ويزرع قصب السكر الآن بكثرة في كوبا وجاوي ومنلاً وموريتيوس وجزائر الهند الغربيَّة وشمالي الهند وشمالي اميركا وبرازيل واليابان والصين ومصر وجزائر صندريج

والقصب البستاني لا بزر لهُ او يندر ان يكون لهُ بزر ولذلك يزرع من العقل

ولا يجود قصب السكر الَّا في الارض الجيدة التي احسنت خدمتها ويقلُّ السكر في القصب اذا بقي في الارض بعد بلوغهِ او اذا قُطع وترك زمانًا طويلاً قبل عصرهِ

اما كيفية استخراج السكر من القصب وتكريرهِ فممَّا لا يد لاهل الزراعة فيهِ

حياة البزور والبرد الشديد

قرأَ المسيو پول بكرل رسالة في اكادمية العلوم بباريس وصف فيها فعل البرد الشديد بحياة الخلايا الاصلية . فقد قال البعض ان بزور النبات تحتمل البرد الشديد الى الدرجة ٢٥٠ تحت الصفر وتبقى حياتها فيها فتنبت اذا زرعت دلالة على ان البرد لا يؤَثر في الخلايا الحية مهما اشتدَّ وهذا يخالف ما يعتقدهُ علماءُ البيولوجيا . اما المسيو بكرل فاخذ انواعاً مختلفة من البزور وقسمها اربعة اقسام وجعل في القسم الاول منها البزور التي تكون جافة من طبعها كالقمح والذرة والفول . وفي الثاني البزور الجافة التي ينزع قشرها كالارز . وفي الثالث بزورًا جففها بمفرغة الهواءِ حتى لم يعد فيها شيءٌ من الرطوبة . وفي الرابع بزورًا منقوعة في الماء . وبرَّد هذه الاقسام كلها معًا في الهواءِ السائل مدة ١٣٠ ساعة ثم استخرجها منهُ وزرعها فالقسم الاول نبت بعض بزورهِ ولم ينبت البعض الآخر والذي لم ينبت هو الذي فيهِ كثير من الماء . والقسم الثاني نبت ثلاثة منهُ فقط . والقسم الثالث نبتت كل بزورهِ الجافة . والقسم الرابع لم ينبت شيءٌ من بزورهِ واتضح من ذلك ان وجود الماء في البزر يقتلهُ اذا اشتدَّ البرد عليهِ لان الماءَ يجلد بالبرد الشديد ويشق الحويصلات الاصلية

الموز وتجارتهُ

الموز من الذ الاثمار طعمًا واكثرها غذاءً واغلاها ثمنًا وهو يجود في القطر المصري كما يجود في غيرهِ من الاقطار الحارَّة ولاسيما اذا كان ماؤُها غزيرًا . ولقرب القطر المصري من اوربا لا يصعب نقلهُ اليها وبيعهُ فيها بعد ان تستوفي البلاد حاجتها منهُ ولكن ذلك غير مرغوب فيهِ الآن لان الموز صار رخيصًا جدًّا في اوربا ولا سيما البلاد الانكليزية حيث تباع الصباطة (القرط) منهُ بشلنين او ثلاثة

ويجنى من الفدان الواحد ستمائة صباطة من الموز الى الف صباطة فاذا بيعت الصباطة الواحدة بعشرة غروش فقط بلغ ثمن غلة الفدان الواحد ستين جنيهًا الى مئة جنيه في السنة . ولا تبلغ نفقات الزرع والخدمة اكثر من سبعة جنيهات او ثمانية في السنة وهب

انها بلغت عشرة جنيهات فيبقى من الموز ربح وافر. ولا يزال الموز اغلى من ذلك كثيرًا في هذا القطر يبلغ ثمن الصباطة منهُ خمسين او ستين غرشاً . ولا يخفى انهُ اذا اريد نقل الموز من بلاد الى اخرى وجب ان يقطع قبلما ينضج بخمسة عشر يوماً او اكثر ويعرف ذلك بان تقطف موزةً من آخر الصباطة اي مما يلي عرقها وتقطعها من وسطها بسكين ماضٍ قطعاً عرضيًّا ثم تنظر في مقطعها فاذا رأيت فيها اصفرارًا قليلاً حول البزور السوداء الصغيرة التي في قلبها فيكون قد حان الوقت لقطف الصباطة فتنضج من نفسها بعد خمسة عشر يوماً والاَّ فاذا وجدت داخل الموزة التي قطعتها ابيض كلهُ لا اصفرار فيهِ فلا يكون الوقت قد حان لقطف الصباطة. ولا بدَّ من قطع رأس الصباطة قبل شحنها باسابيع حتى ييبس مكان القطع والاَّ عفن واتلف الصباطة

ويبلغ وزن الصباطة من اربعين رطلاً الى مئة رطل

القطن المصري

قدِّر القطن المصري هذا العام باكثر من ستة ملايين ونصف مليون قنطار ولكن الذين قدَّروا قطنهم قبل جمعهِ ثم وزنوهُ بعد جمعهِ وجدوا ان وزن المجموع لا ينطبق على التقدير الذي قدَّروهُ بهِ بل ينقص عنهُ ثلاثين او اربعين في المئة فالفدان الذي قدَّروا محصولهُ ستة قناطير لم يجمعوا منهُ خمسة والذي قدَّروا محصولهُ اربعة لم يجمعوا منهُ ثلاثة فاذا كان هذا الامر عامًّا فالمحصول اقلُّ ممَّا قدِّر بهِ وقد لا يبلغ ستة ملايين قنطار ولا نعجب اذا كان اقل من ذلك

ثم ان الجيد من القطن المصري اقل هذا العام مما كان في الاعوام السالفة ولذلك لم يكن في الحسبان ان الاسعار تهبط كما هبطت في اواسط هذا الشهر نعم ان الهبوط ابتدأ من اميركا وهي صاحبة القول الفصل في سعر القطن ولكن للقطن المصري محلاًّ لا يقوم مقامهُ فيهِ قطن آخر غير السي ايلند وهو اغلى من القطن المصري ولذلك لا تزال الآمال معقودة بارتفاع سعر القطن المصري ولو لم يكن ذلك قريباً والاَّ فخسارة القطر عظيمة جدًّا

القطن في جزائر الهند الغربية

دعا ارتفاع ثمن القطن الى تجربة زرعهِ في جزائر الهند الغربية فزرع منهُ ٩٥ فداناً بلغ متوسط محصول الفدان منها قنطارين وثلث قنطار من القطن الشعر وكان القطن من النوع

المعروف بالسي ايلند وبلغ متوسط ثمن القطن والبزرة عن كل فدان ١٤ جنيهاً ومتوسط نفقات الزرع اربعة جنيهات فيكون صافي ربح الفدان عشرة جنيهات تدفع منها الضرائب وقيمة الايجار او ربا راس المال

غلاء الحاصلات

لقد شمل الغلاء الحبوب على انواعها والتبن ايضاً فيباع حمل التبن بمئة غرش او اكثر واردب الفول بمئة وخمسين غرشاً وكذلك القمح والذرة الاَّ ان غلاء الحبوب لا يقدم ولا يؤَخر في ثروة البلاد لان الصادر منها قليل جداً فقد بلغ ما صدر من الفول من غرة ابريل الماضي الى ١٧ نوفمبر ٩٣٦٠٠ اردب وكان في العام الماضي الى ١٧ نوفمبر ٢٠٨٣٤٦ اردباً اما ما يباع في البلاد من الحبوب ونحوها فلا يؤَثر في ثروتها سواءٌ كان غالياً او رخيصاً لان مفاده نقل النقود من يد زيد الى يد عمرو لا غير

حالة القطر المالية

يدلُّ تقرير الجمارك المصرية على ان العسر الذي اصاب البلاد في العام الماضي لا يزال مستمرًّا ونعني بالعسر زيادة قيمة الواردات على قيمة الصادرات ولا عبرة بتوفُّر الاموال في القطر اذا كانت هذه الاموال قد أُرسلت اليهِ من اوربا ليستدينها اهاليهِ ثم يضطرون الى ايفائها وايفاء رباها لان الغني من كانت امواله لهُ لا لغيرهِ

وقد بلغت قيمة الواردات الى آخر اكتوبر الماضي ١٧٢٢١٤٠٩ جنيهات وكانت في العام الماضي الى آخر اكتوبر ١٥٦٩٣٧٠٩ جنيهات فزادت قيمة الواردات هذا العام عما كانت عليهِ في العام الماضي ١٥٢٧٧٠٠ جنيه اي اكثر من مليون ونصف من الجنيهات

وممَّا زاد الطين بلَّة ان قيمة الصادرات نقصت ٧١٧٧٣٨ جنيهاً فانها كانت في العام الماضي ١٥٥٣٤٩٨٥ جنيهاً فبلغت هذا العام ١٤٨١٧٢٤٧ جنيهاً فقط . وبلغ الفرق على القطر المصري من زيادة قيمة الوارد ونقص قيمة الصادر ٢٢٤٥٤٣٨ جنيهاً اي نحو مليونين وربع مليون من الجنيهات فان كان في القطر شيءٌ من المال المدَّخر فلا بد من ان يستنزف قريباً الاَّ اذا رأى ارباب الزراعة سبلاً اخرى لزيادة قيمة الصادرات او اذا قلَّل الاميركيون زراعة القطن في العام المقبل كما قلَّلوها هذا العام فعاد سعر قنطار القطن الى اربعة جنيهات اوخمسة فتزيد قيمة الصادرات وتنفرج الضيقة المالية

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اوّل انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الغرامة الحربية

كدوك بالسودان . فؤاد افندي مغبغب هل لليابان حق باخذ غرامة حربيَّة من روسيا ولم تتمكن من ذلك إما لضغط دول اوربا عليها او لسبب آخر او ليس لها حقٌّ مطلقاً وقد كان طلبها لها من قبيل تكثير الطلبات كعادة المنتصر

ج ان الغرامة ليست من قبيل الحق وما هي الاَّ فكاك يطلبهُ الغالب من المغلوب مقابل خروجهِ من بلاد احتلها او تنازلهِ عن حقوق اغتصبها او توقفهِ عن الحرب وهو قادر عليها فلو احتلت اليابان ولاية من ولايات روسيا وقالت انها لا تجلي عنها ما لم تدفع اليها روسيا كذا وكذا من المال لاضطرت روسيا اما ان تدفع المال المطلوب او تترك تلك الولاية لليابان . وقد كان في طاقة اليابان ان تبقى في جزيرة سخالين وتقول لروسيا انها لا تخرج منها ما لم تدفع اليها غرامة حربية ولكنها وجدت ان الجزيرة كلها لا تساوي قيمة تذكر فاكتفت بنصفها اما سائر البلاد التي احتلتها فليست من املاك روسيا وكذلك لم تستولِ على شيءٍ مما لروسيا وعرضت ان تردهُ لها مقابل الغرامة الحربية او مقابل ما يساويهِ منها ولو عرضت ان ترد لروسيا قلعة بورت ارثر او البوارج التي استولت عليها مقابل ما يساويها من المال لقبلت روسيا ذلك عن طيب نفس . وكذلك لو كان في طاقة اليابان ان تواصل الحرب وليس في طاقة روسيا ان تواصلها وقالت اليابان انني لا انكفُّ عن الحرب ما لم تدفع اليَّ روسيا كذا وكذا من المال لكانت روسيا تفعل ذلك ولكن الظاهر ان اليابان كانت ترغب في الكف عن الحرب مثل روسيا فلم يبقَ لها سبيل الى الاصرار على طلب الغرامة

(٢) شروط الصلح

ومنهُ . اذا كانت شروط الصلح مجحفة بحقوق اليابان فما هو قصد انكلترا السياسي من عقدهِ على هذه الصورة فقد جاء في

التلغرافات والجرائد انهُ كان لجلالة الملك اليد الطولى في جعل اليابان تقبل بهذه الشروط

ج يظهر لنا ان اليابان لم تغبن في شروط الصلح وان انكلترا ساعدتها ادبيًّا ومادّيًّا اكبر مساعدة ممكنة ولولاها ما استطاعت ان تقهر الروس ولا احجمت الدول الاوربية عن مساعدة الروس عليها . وقد نالت اليابان كل ما كان يمكنها ان تنالهُ من هذه الحرب وليس الخطأ في عقد شروط الصلح بل في اعلان الحرب والاستعداد لها . واللوم في ذلك ليس على اليابانيين كافّة ولا على الروس كافّة بل على ارباب المال والمصالح المالية الذين امسى زمام السياسة في يدهم والكسب باية واسطة كانت غرضهم الاول والاخير

(٣) عسر الهضم

بيروت . ج . م . شاب عمرهُ ثلاثون سنة صناعتهُ الكتابة ضعيف البنية لا يشكو من شيءٍ سوى عسر الهضم لا يستريح في نومهِ بل يشعر بتعب اثناء النوم ورائحة فمهِ كريهة ولسانهُ اغلب الاحيان ابيض فاي شيءٍ يفيدهُ

ج تقليل الطعام ولاسيما مساءً ومضغهُ جيدًا والرياضة في الهواء النقي فاذا اكتفى في الصباح بفنجان من اللبن والقهوة وكسرة من الخبز واكل الظهر طعامًا خفيفًا وقلَّل طعامهُ في المساء فاكتفى بصحن من الشوربا وقليل من الخبز والبيض او اللحم ومضغهُ جيدًا فالغالب ان يصطلح هضمهُ ويحسن نومهُ ولاسيما اذا قلَّل الشغل وروَّض جسمهُ في الخلاء ساعةً او ساعتين كل يوم

(٤) المرأة العرّافة

مصر . كامل افندي حقي . ما قولكم في المرأة العرّافة التي في جهة المتبولي هل علمها واستدلالها بالكف من قبيل علم الفلك

ج هي وكل العرّافات دجّالات على جانب من الذكاء فتتكلم كلامًا مبهمًا ولكن الذي يقصدها ويعتقد صحة قولها يفهمهُ على حسب ما قام في ضميرهِ فيرى صحتهُ . ولو قصدها واحد يعتقد كذبها لرأى انها لا تقول شيئًا محدودًا وان قالت شيئًا محدودًا فالغالب انهُ غير صحيح وان صحَّ شيءٌ مما تقولهُ فتكون صحتهُ من قبيل الممكنات فاذا قالت لامرأة انكِ تموتين قبل زوجك فالصحة في هذا القول خمسون في المئة اي انها اذا قالت هذا القول لمئة امرأة اصابت في خمسين على الراجح

(٥) اصل هنود اميركا

هلمور باميركا . الخواجه بشاره ابو رزق . كيف دخل الهنود الى اميركا قبل وصول البيض اليها

ج ان هذه المسألة من المشاكل التي لم تحلَّ حتى الآن حلًّا مقنعًا والرأي الراجح ان هنود اميركا دخلوها من جهات الصين واليابان اما بسفن ساقتها الرياح اليها او

ساروا اليها برًّا في جزائر غارت في البحر وغمرتها المياه الآن لان الانسان وُجد في اميركا قبل العصر الجليدي اي منذ عشرين الف سنة او اكثر . ويظن البعض ان الانسان وجد في اميركا قبلما وجد في اسيا واوربا وان الناس انتقلوا الى العالم القديم من العالم الجديد . ولم يُقَل القول الفصل في هذه المسألة حتى الآن

(٦) كسوف الشمس والاكليل

الفيوم . رزق الله افندي بولس . اطَّلعت على ما ذكرتموهُ عن كسوف الشمس يوم ٣٠ اغسطس الماضي وتصوير اكليلها وقد اخذت صورة كسوف الشمس وارسلتها اليكم الآن ويظهر فيها اكليل حول الشمس وهي في شكل الهلال كما ترون فهل هذا هو الاكليل الذي يرصدهُ علماء الفلك

ج وصلت الصورة الفوتوغرافية التي ارسلتموها الينا وقد ظهرت صورة الشمس فيها جيدًا وهي كالهلال ولكن الابيضاض الذي حولها ليس صورة الاكليل لأن الاكليل لا يظهر الَّا اذا كان الكسوف تامًّا وغاية ما بلغت اليهِ السنتهُ في هذه النوبة نحو قطرين مثل قطر الشمس فاذا كان قطر الشمس نحو اربعة مليمترات كما هو في رسمكم فاطول لسان من السنة الاكليل نحو ثمانية مليمترات فقط اما قطر النور في رسمكم فنحو خمسين مليمترًا وواضح ان الابيضاض في رسمكم شامل للقمر الذي كسف الشمس فهو يقابل ما انحجب عنهُ نور الشمس بالنسبة الى الجزء الذي بقي ظاهرًا منها اي ان الهلال الذي بقي ظاهرًا من الشمس ظهر في صورتكم اسود فاحمًا لانهُ هو الجزء المنير الذي اثَّر في اللوح الفوتوغرافي وما بقي ظهر ابيض لان النور كان محجوبًا عنهُ فلم يؤَثر في اللوح الفوتوغرافي

(٧) الفرح والحزن

لبنان . م . ط . ايُّ اشدُّ تأثيرًا في النفس الفرح في اشد درجاتهِ ام الحزن في اشد درجاتهِ

ج يظهر لنا ان الحزن اشد تأثيرًا من الفرح لان الفرح يزيد شيئًا موجودًا في النفس مألوفًا لها فلا يكون تأثرها منهُ شديدًا جدًّا واما الحزن فيوجِد شيئًا غير موجود في النفس او يمنع شيئًا موجودًا فيها فيكون تأثرها منهُ شديدًا ألا ترى ان البعض يحملهم الحزن على الانتحار لكي يتخلَّصوا من وطأتهِ عليهم واما الفرح فلم يسمع انهُ ادَّى الى ذلك

(٨) اكليل القمر

المطرية بالدقهلية . ح . ع . ج في الليلة العاشرة من شهر رمضان رأينا حول صفحة القمر البيضاء الفضيَّة هالة خضراء زبرجديَّة يحيط بها دائرة حمراء ياقوتية فما هذه الهالة وما سبب ظهورها

ج الذي رأيتموهُ ليس الهالة بل الاكليل

الذي يظهر احياناً حول الشمس وحول القمر اذا نظر اليهما من خلال الضباب الرقيق فان اشعة النور تمر في نقط الماء الصغيرة التي تكون منتشرة في الضباب وتنكسر وتنحل الى الوانها المختلفة ومن حيث ان هذه النقط منتشرة في فسحة واسعة وانكسار النور يجري على نسق واحد فما يحدث في الجهة الواحدة من القمر يحدث في كل الجهات حولهُ فترى الاشعة المنكسرة في شكل دائرة او اكليل حول القمر وتكون الوانها الخضراء والزرقاء الى الداخل والوانها الحمراء والصفراء الى الخارج ولا يتعذَّر ايضاح ذلك بالحساب

باب الاخبار العلمية

اوجه القمر في شهر دسمبر

	يوم	ساعة	دقيقة	
الربع الاول	٣	٨	٣٨	مساء
البدر	١٢	١	٢٦	صباحاً
الربع الاخير	١٩	٢	٩	مساء
الهلال	٢٦	٦	٤	صباحاً

السيارات

لا يرى عطارد في اول الشهر ثم يصير نجم الصباح في اواسطهِ

الزهرة نجمة الصباح الشهر كلهُ

المريخ يغرب نحو الساعة ٩ ١/٢ الشهر كلهُ

المشتري يظهر الليل كلهُ

زحل يغرب بعيد الساعة العاشرة في اول الشهر وقُبَيل ذلك في آخرهِ

الاسراب في فلسطين

يستدل من بعض الدلائل التاريخية ان المهندسين الاسرائيليين حفروا سرباً في عهد الملك حزقيا (منذ ٢٥٠٠ سنة) على مثال سرب سمبلون الذي حفر حديثاً في جبال الالب . فقد ورد في بعض التواريخ ان حزقيا اضطرب لقلة الماء في اورشليم وكدرهِ فأمر ببناء خزَّان عند ابواب المدينة يجري الماء اليهِ من عدة ينابيع خارجها . فكاد عملهُ هذا يحبط في بادىء الامر لوجود سلسلة تلال عالية تفصل بين الينابيع والخزان . وعليهِ قرَّ القرار على حفر قناة للماء في الصخر الصلب . وورد في ابن سيراخ ان حزقيا حصّن مدينتهُ بجرّ الماء اليها فحفر سرباً في الصخر الصلب بآلات من البرنز وجمع الماء في خزّان

وقد اكتشفوا في ضواحي القدس منذ ١٥ سنة قناة مكشوفة ولكن يظهر ان بانيها ملك من الملوك الذين تقدموا حزقيا لا حزقيا نفسهُ كما يستدل من نقوش بالعبرانية وجدت قرب القدس ونقلت الى متحف الاستانة وهذه ترجمتها " قد انتهى الحفر . وقبل ان التقى معول العامل الواحد بمعول العامل الآخر والبعد بينهما ثلاث اذرع كان العمال يسمعون نداءهم بعضهم لبعض في الجهتين المتقابلتين وفي آخر يوم من ايام الحفر لمست المعاول بعضها بعضاً . وكان علو الصخر فوق رؤُوس العمال مئة ذراع ثم جرت المياه الى الخزان على طول ١٢٠٠ ذراع "

وقد اكتشف حديثاً سرب كان الماء يجري فيهِ من عين شرقي القدس الى بركة سلوام المذكورة في التوراة وهو المعروف بقناة شيلوه واستدل من الدلائل الكثيرة انهُ هو السرب الذي حفرهُ حزقيا . وطول هذه القناة نحو ٥٠٠ ذراع وتدلُّ آثار المعاول على ان العمال كانوا يحفرونها من الجهتين المتقابلتين في وقت واحد . وقد غيرت جهت الحفر مراراً لما ظهر للمهندسين ان العمال خرجوا عن الجهة المطلوبة . وعرض القناة يختلف بين ذراع وذراع ونصف وعلوها بين ذراع ونصف واربع ونصف حسب صلابة الصخر او ليونتهِ

ولا يعلم حتى الآن كيف كان المهندسون يعينون جهة الحفر في تلك الايام ويهتدون الى اصلاح خطائهم وما هي الادوات والآلات التي كانت تستعمل للحفر فان ذلك كلهُ لا يزال مجهولاً

عمر الارض

كتب الاستاذ سولاس الجيولوجي كتاباً في عمر الارض قدَّر فيهِ الزمان اللازم لتكوُّن الصخور المنضدة بستة وعشرين مليون سنة على تقدير انهُ يقتضي قرن كامل لرسوب قدم واحدة منها . وقال ان هذا التقدير يطابق مذهب البيولوجيين

واستشهد بقول اللورد كلفن ان عمر الشمس منذ صارت منيرة اقصر من عمر اوقيانوسات الارض . اي انهُ اذا كان عمر الطبقات المنضدة ٢٦ مليون سنة كما تقدم فلا يبعد ان يكون عمر الاوقيانوسات ٥٥ مليوناً . وكانت حرارة مياهها في بادىء امرها على درجة الغليان تقريباً ثم اخذت تبرد شيئاً فشيئاً حتى تكونت طبقة سميكة من الجليد على سطحها فلما ظهرت الشمس زال ليل الارض الطويل وخفَّ بردها الشديد واخذ الجليد يذوب والماء يجري فكان ذلك بدء تكوّن الصخور المنضدة

واستطرد الى الراديوم فقال ويؤكد بعض العلماء انهُ اذا كان في كلّ متر مكعب من الارض جزء من خمسة ملايين جزء من الراديوم فذلك يكفي للتعويض عما تفقدهُ

الارض من الحرارة بالاشعاع الى الفضاء وتبقى حرارتها على درجة واحدة زمناً طويلاً جدًّا

اكتشاف نجم جديد

اكتشفت مس فلمنغ الاميركية نجماً ثانياً في النسر الطائر وهي من مساعدي مرصد هارفرد وقد اكتشفت ثمانية نجوم جديدة من الاحد عشر نجماً التي اكتشفت في العشر السنوات الماضية. وكانت تدرس الصور الفوتوغرافية التي كانت النجوم تصور بها كلَّ ليلة فرأَت طيفاً جديداً في الصور التي صُوّرت في ١٨ اغسطس الماضي فراجعت الصور التي صوّرت في ١٠ منهُ فلم تجد اثراً للطيف المشار اليهِ وكان حين رأَتهُ من القدر السادس اي ان نورهُ كان اقلَّ قليلاً من نور اصغر نجم يرى بالعين المجردة. وجعلت تراقبهُ كلَّ ليلة فرأَت نورهُ يقلُّ رويداً حتى بلغ العدد الحادي عشر وهذا دليل على انهُ نجم جديد

الاحتضار والموت

كتبت كاتبة انكليزية مقالة عن الموت قالت فيها ان موت الجسد قد يتأخر عن خروج الروح مدة كما جرى لامبراطورة النمسا. ثم قصّت ما جرى لبعض المحتضرين وما فاهوا بهِ من العبارات قبيل موتهم منها ان نوتيًّا شابًّا احتضر فخاف من الموت اذ لم يكن يظن انهُ يموت وهو في عنفوان شبابهِ فلما اخبرهُ الطبيب بدنوّ اجلهِ صاح صيحة اليئس وكانت الكاتبة حاضرة قالت فتبدلت حالهُ ثم اخبرني انهُ وان كان قد اكتأب في بادىء الامر فهو لم يعد يبالي بالموت الآن ولكنهُ خاف لانهُ لم يعمل الصلاح دائماً. وظهر لي انهُ كان حائراً في ما يفعلهُ بعد مفارقة روحهِ لجسدهِ. وقبل خروج النفس الاخير سمعتهُ يقول بصوت خافت لا بأس عليَّ فقد دلُّوا اليَّ حبلاً استطيع الصعود عليهِ

والمرجح ان الروح تختبر عالَم الارواح والجسم لا يزال أسير اوصابهِ وآلامهِ بدليل ما يستولي على المحتضر من الغيبوبة قبل انفصال روحهِ عن جسدهِ. فقد روي ان امرأة غابت عن الوجدان قبيل موتها فردَّها زوجها الى وجدانها بالمنعشات والمنبهات. فنظرت اليهِ نظرة الموبخ وقالت لمَ ارجعتني فقد كنت أُصعّد في اكمة صعبة المراس وكدت أبلغ قنتها فأعدتني الى حضيضها. ثم غابت ثانيةً واسلمت الروح

سباق البلونات

جرى سباق للبلونات في لييج بالبلجيك بين ثلاثة بلونات فكان السابق البلون الانكليزي المسمَّى ڤيڤيان الثالث. ركبهُ رجلان انكليزيان وكانت الريح عاصفة فبلغ

بهما علوّ ١٦ الف قدم . ولما ركباهُ كانت سرعة الريح ٣٠ ميلاً في الساعة وكانت تهب من الشمال الشرقي فصعدا بهِ الى مافوق الغيم حيث كان العلو ٩٠٠٠ قدم وسرعة الريح ٥٠ ميلاً في الساعة وهي تهبُّ من الجنوب الغربي فلما انتقل البلون من المجرى الاول الى الثاني المضادّ لهُ مال براكبيهِ بغتة ميلاً شديداً حتى كاد ينقلب بهما ثم عاد الى موازنتهِ الاولى وهو يسير صعداً . ولما بلغ علو ١٦٠٠٠ قدم سمع راكباهُ صوت الآلات تعمل في المناجم البلجيكية والالمانية تحتهما . ثم اقبل الظلام فهبطا الى الارض بعدما اجتازا اطول مسافة في ذلك السباق

وتسابق ١٣ بلونًا في ١٥ اكتوبر وبدأ السباق من حدائق التويلري في باريس فنزل بلون منها في المانيا نحو الساعة الثانية بعد ظهر اليوم التالي بعد ان قطع ٨١٠ كيلو مترات ووصل آخر الى حدود النمسا نحو الساعة السابعة من صباح اليوم التالي فقطع ٧٨٠ كيلو مترًا في تلك المدة . ونزل آخر في باڤاريا عند نصف الليل بعدان قطع ٦١٠ كيلو مترات وقطعت البلونات الاخرى مسافات متفاوتة في اوقات متفاوتة

السرجورج دارون

انعم ملك الانكليز بلقب سر على الاستاذ جورج دارون بن دارون الشهير

نقولا بك توما

خسرت صناعة المحاماة محاميًا قوي الحجَّة وخطيبًا شديد العارضة . والنزالة السورية وجيهًا يفتخر في انديتها بانهُ نشوء ذراعهِ وتحسنًا يفتح ابواب الرزق في وجوه طالبيهِ . ولد في مدينة صيداء وهاجر الى القطر المصري فوصلهُ وليس في يدهِ سوى ريالين فانتظم اولاً في خدمة الحكومة ثم تعاطى صناعة المحاماة فاشتهر فيها حتى صار يعدُّ من نوابغ الطبقة الاولى بين المحامين وجمع ثروة طائلة ولكن اعتلَّت صحتهُ من كثرة الشغل ومضى في الصيف الماضي الى اوربا مستشفيًا فقضى نحبهُ في اڤيان في الخامس والعشرين من شهر اغسطس الماضي ونقلت جثتهُ الى القاهرة فوصلتها في ١١ اكتوبر واحتفل احتفال عظيم بدفنهِ فيها

الدكتور بشاره زلزل

هو من اسرة لبنانية وجيهة اشتهر بعض افرادها بالعلم والفضل . درس الطب في المدرسة الكلية السوريَّة وبرع فيهِ وكان من كبار المنشئين ولهُ مقالات كثيرة في المقتطف وغيرهِ من المجلات العلمية واشتغل بعلم الحيوان وجمع فيهِ كتابًا كبيرًا شرع في طبعهِ ونشرهِ من عهد قريب فلم يمهلهُ القدر حتى يتمهُ وكانت وفاتهُ في الحادي عشر من شهر نوفمبر الماضي فخسر ابناء المشرق بفقدهِ رجلاً يعدُّ من اركان النهضة العلمية الحديثة

الثلج في قطب المريخ الشمالي

كان بعضهم يرصد المريخ في مرصد لويل باميركا في ١٩ مايو الماضي فرأى بقعة بيضاء كبيرة الى الجنوب الغربي من مكان البقعة البيضاء التي كانت عليهِ في السنة الماضية ولم تكن ظاهرة في اليوم الذي قبلهُ وهذا الفصل في المريخ يقابل ٢٠ اوغسطس عندنا. وشوهدت البقعة في اليوم التالي ايضاً وبدأ تكونها بعد الانقلاب الصيفي في النصف الشمالي من المريخ بمئة وستة وعشرين يوماً وكان قد بدأ سنة ١٩٠٣ بعد الانقلاب الصيفي في تلك السنة بمئة وثمانية وعشرين يوماً او مئة وتسعة وعشرين مما يدلُّ على دوام التقلبات الجوية في المريخ

الكونت دي برازا

توفي من عهد قريب الكونت دي برازا السائح الفرنسوي المشهور . وهو ايطالي الاصل ولد في ريوجنيرو بالبرازيل سنة ١٨٥٢ ولكنهُ تعلَّم في المدارس الفرنسوية واستعدَّ لخدمة البحريَّة . وسنة ١٨٧٦ قصد افريقية للاكتشاف فاكتشف منابع نهر اوجوي اكبر انهار غينيا الفرنسويَّة في غربي افريقية . وفي ١٨٧٩ بلغ البقعة التي سميت فيما بعد برازاڤيل باسمهِ عند بحيرة ستنلي قبلما بلغ ستنلي اعالي الكونغو . وفي سنة ١٨٨٨ عيّن حاكماً عامًّا لبلاد الكونغو الفرنسويَّة فنظم ادارتها وبقي في هذا المنصب الى سنة ١٨٩٧ فاستعفى لاعتلال صحتهِ

قتلى الوحوش في الهند

يؤْخذ مما ورد في بعض جرائد الهند ان عدد الذين قتلتهم الوحوش في الهند كلها بلغ ٢١٥٧ نفساً سنة ١٩٠٤ يقابلهم ٢٧٤٩ سنة ١٩٠٣ منهم ٧٨٦ قتلتهم الفهود يقابلهم ٨٦٦ في السنة التي قبلها و ٢٤٤ قتلتهم الذئاب يقابلهم ٤٦٣ سنة ١٩٠٣

والذين اماتتهم الافاعي سنة ١٩٠٣ كانوا ٢١٨٢٧ نفساً فزادوا حتى بلغوا ٢١٨٨٠ سنة ١٩٠٤ . وبلغ عدد الافاعي التي قتلها الاهالي ٦٥٣٧٨

المطر في الهند

يشتدُّ وقوع المطر في بعض انحاء الهند حتى يبلغ حدًّا يبعد عن التصديق . فقد بلغ ما وقع منهُ في مدة ٢٤ ساعة في مقاطعة شيموجا نحو ٢١ بوصة وذلك في شهر يونيو الماضي على حين ان متوسط ما يقع من المطر في سواحل سورية على مدار السنة بين ٣٠ و ٤٠ بوصة . ومتوسط ما وقع منهُ في المقاطعة المذكورة مدة ٣٥ سنة الماضية لم يزد على ٣٧ بوصة

فهرس الجزء الثاني عشر من المجلد الثلاثين

٩٥٣ السرهنري ارفنغ (مصوَّرة)
٩٥٦ الرائحة وسببها
٩٥٨ الدكتور برناردو المحسن الكبير
٩٦٠ اليزه ركلي (مصوَّرة)
٩٦١ قبل الولادة وبعد الموت
٩٧٢ الري في اعالي النيل . للسروليم جارستن
٩٧٨ الاحتضارات والقبريَّات . لعيسى افندي اسكندر المعلوف
٩٨٥ الشيخ محمد عبده
٩٩٢ تاريخ محمد علي باشا
١٠٠٠ دواء السل
١٠٠٣ طلاق الامبراطورة جوزفين . لمصطفى افندي صادق الرافعي
١٠٠٥ شمول مذهب النشوء . للاستاذ السر جورج دارون

١٠١٥ باب تدبير المنزل * فتح الشبابيك ليلاً . عطر الورد . الشعر وماء البحر . اللبن (الحليب) منع سقوط الشعر . فائدة الماء السخن . فائدة التربنتينا . غسل الاطفال . نوم الاطفال نزهة الاطفال
١٠١٨ باب المراسلة والمناظرة * قواد الغرب وقواد العرب . فرس البحر . تصحيح خطاٍ
١٠٢٢ باب التقريظ والانتقاد * شرح قانون المحاكمات الجزائية . الصحة العجيبة في تطهير ابناء الشبيبة كتاب الحيوان . الجغرافية الجديدة . قاموس انكليزي وعربي . ديوان تذكار الصبا . مراثي الشعراء . التحفة المصرية لطلاَّب اللغة الانكليزية . تاريخ التمدُّن الاسلامي
١٠٢٨ باب الزراعة * السكر وقصب السكر . حياة البزور والبرد الشديد . الموز وتجارته . القطن المصري . القطن في جزائر الهند الغربية . غلاء الحاصلات . حالة القطر المالية
١٠٣٢ باب المسائل * الغرامة الحربية . شروط الصلح . عسر الهضم . المرأة العرَّافة . اصل هنود اميركا . كسوف الشمس والاكيل . الفرح والحزن . اكليل القمر
١٠٣٥ باب الاخبار العلمية * وفيه ١٤ نبذة
رواية فتاة مصر ملحقة بالمقتطف

الفصل السادس والثلاثون

من مرسيليا الى مصر

اليوم صحو والبرد قارس والناس يمرون في الشوارع ذهاباً واياباً متلفعين متلثمين كأنهم في اواسط فصل الشتاء . وباعة السمك والمحار عابسون ممتقعون لم يصطادوا شيئاً في الليل الغابر لشدَّة الانواء . وقد انحلَّ عقد الاعتصاب وعاد عمَّال الرصيف الى اعمالهم بعد ان عضهم الجوع فشحنوا السفن ونقموا على رؤسائهم الذين اغروهم باعتصاب لم يجنوا منهُ غير الضرر

ركب السر ادورد برون وزوجتهُ لادي برون سفينة من السفن الانكليزية الكبيرة التي تذهب الى الشرق الاقصى وفيها عدد عديد من الركاب اكثرهم من الانكليز الموظفين في مصر والهند استأجروا اماكنهم فيها من لندن ووافوها برّاً الى مرسيليا افتداءً للوقت وتخلُّصاً من انواء خليج بسكي . ولما ابعدت بهم السفينة عن البر نشر البحارة خيمة على ظهرها كالبيت المحكم وانتشر الركاب فيها زرافات ووحداناً وجلست لادي برون الى جانب زوجها ودار بينهما الحديث التالي

لادي برون — لم اتعب في حياتي كما تعبت الآن . ياحبذا لو اتينا بطريق جبل طارق

السر ادورد برون — المسافة من لندن الى مصر بطريق جبل طارق اثنا عشر يوماً وبطريق مرسيليا ستة ايام وما ادرانا انهُ لا يكون نوءٌ في الاتلنتيكي كما يكون عادة في هذا الفصل من السنة ثم اني انا كنت معكِ ولم اتعب

لادي برون — انتم الرجال تقوّون اجسامكم بالرياضة وتنسون اننا نحن النساء لم نكن نفعل ذلك فلا نستطيع تحمل المشاق مثلكم اما بناتنا فربينَ على غير ما ربينا نحن ولا اظن ان هنري اقوى على تجشُّم المشاق من دورا . كم تظن اننا ابعدنا عن البر الآن يا ادورد

السر ادورد — لا اقل من اربعين ميلاً يا ادث لان السفينة تسير ثمانية عشر ميلاً في الساعة وقد مضى الآن اكثر من ساعتين من حين اقلعت بنا

لادي برون — ما اسرع ما يمضي الوقت مضت ساعتان كانهما دقيقتان . اتظن يا ادورد اننا نلتقي بهنري ودورا في بورت سعيد

— كلاَّ لانهما يدخلان القطر المصري بطريق السويس وسيسبقاننا الى مصر ببضعة ايام فنجدهما هناك . وقد اخبرتهما بالتغراف ان ينزلا في هوتل سافوى حيث نزلا اولاً وحيث استأجرنا شقَّة للنزول فيها

ومرَّ اليوم الاول والثاني والثالث من غير ان يحدث في الباخرة شيءٌ غير عادي فقضى

الركاب هذه الايام الثلاثة في الاكل والشرب واللعب والنوم والتفكّه بالحديث . ولما مروا ببوغاز مسينا كان البحر هائجًا ولكن هيجانهُ لم يكن شديدًا فلم يُصَب بالدوار الَّا بعض الركَّاب. والسفينة كبيرة ووسقها كثير وكل ما فيها نظيف جدًّا والفحم الذي يوقد فيها قليل الرائحة القطرانية فساعد كل ذلك على اراحة ركَّابها ونجاتهم من الدوار لاسيما وان الرجفان الذي ترجفهُ بعض البواخر فيقلق الركاب لم يكن في هذه الباخرة. وفي صباح اليوم الرابع كانت لادي برون تقلّب الجرائد في غرفة القراءة فوجدت في جريدة مرسيليا الصادرة يوم سفرهم منها تلغرافًا من عدن منشورًا بحروف دقيقة في مكان لا يستلفت النظر يقال فيهِ ان الباخرة اكاديا من بواخر الباسيفيكي غرقت عند ساحل سقطرى بمَن فيها . فلما وقع نظرها عليهِ ذهلت لحظة من الزمان كانها في حلم ثم صرخت صرخةً منكرةً ووقعت الجريدة من يدها وكان زوجها يكتب الى جانبها فنهض اليها مذعورًا وقال ماذا ماذا فالقت رأسها على كتفهِ وهي تقول اولادنا اولادنا اولادنا الباخرة التي كان فيها اولادنا الباخرة اكاديا غرقت بهما غرقت غرقت آه يا هنري يا دورا يا ولدينا يا ربي ما هذه البلية ما هذه المصيبة انظرْ انظرْ اقرأ غرقت غرقت كان قلبي يحدثني بذلك من حين ارسلناهما الى هذه الحرب المشومة لعن الله الطمع لعن الله المال نضحي انفسنا واولادنا لاجل مصلحة الامَّة لكي تزيد الاموال في صناديق الاغنياء آه يا ربي ما هذه المصيبة . وجعلت تبكي وتنتحب . وتناول السر ادورد الجريدة ونظر فيها سريعًا الى ان وصل الى التلغراف المرسل من عدن فارتجفت يداهُ واصطكَّت ركبتاهُ وحُصر عن الكلام . واجتمع الركاب حولها هذا يقول خسر في البورصة وهذا يقول احترقت ادارتهُ . وسمعت امرأة كلام لادي برون فقالت للذين حولها ان اولادها غرقوا في البحر الظاهر انهم نزلوا ليسبحوا فغرقوا . واسرع بعض معارفها ليسألوها عن جلية الخبر فاشار السر ادورد الى التلغراف وقال بصوت خافت ان ولدينا كانا في هذه السفينة . فوقع كلامهُ كالصاعقة على جميع الذين سمعوهُ وجعلوا يتناجون في ما بينهم قائلين ما اعظم هذه المصيبة وما افدحها. وغلب الحزن على بعض النساء ولاسيما اللواتي لهنَّ اولاد في الغربة وجعلت كلٌّ واحدة تفكّر في اولادها. ثم ان السر ادورد تجلَّد وقام وسأَل القبطان عمَّا اذا كان يستطيع ان يدخل بهم مرفأً من المرافئ القريبة ليبحث عما حلَّ بركاب اكاديا فقال ان اقرب مرفإ الينا مرفأ الاسكندرية ولكن مرورنا عليها يؤَخر البريد ويضرُّ بالمسافرين عدا عمَّا يلحق شركة البواخر من الخسارة . فقال السر ادورد اما خسارة الشركة فانا اتحملها مهما كانت واما البريد والركاب فلا سبيل لي لارضائهم واطرق اطراق اليئس القانط . وادرك الركاب مرادهُ وكان بينهم رجل مقدام فاخذ ورقة وكتب

فيها سطرين مفادهما اننا نحن ركاب الباخرة الكسندرا نلتمس من قبطانها ان يمر بنا على الاسكندرية ويقف بها ولو ساعتين من الزمان . ووقّع الورقة ودار بها على الركاب في الدرجة الاولى والثانية فوقّعوها مبتهجين وكان اذا توقف احدهم عن توقيعها يبسط لهُ الذين حولهُ واقعة الحال ورفعوا الورقة الى القبطان وتناولها السر ادورد وكتب تحتها انهُ يقوم بكل النفقات التي تترتّب على تغيير خطة الباخرة فقبل القبطان طلبهُ ووجّه الباخرة الى الاسكندرية فوصلتها في اليوم التالي

ولم يكد السر ادورد يصل الى البر حتى بعث بالتلغرافات الى عدن ولندن يسأل عما حلّ بالباخرة اكاديا وعن اسماء الغرقى واسماء الناجين . وسارت لادي برون معهُ الى بيت التلغراف وجلست هناك تنتظر الجواب وهي غائصة في بحار اليأس تتصور ولديها تتقاذفهما الامواج وقد امسك هنري بذراع دورا يحاول السباحة بيمينهِ ورفع رأسها فوق الماء بيسارهِ فيصعد قلبها بصعودهما فوق الماء ويهبط بهبوطهما فيهِ ثم تتعالى اللجج وتغمرهما ويرغي البحر ويزبد حيث غاصا فيهِ فيغوص قلبها في صدرها وينقطع نفسها حتى تكاد تختنق ثم تلوح لها بارقة امل اذ ترى الزوارق مسرعة لانقاذ ولديها فتتنفس الصعداء وتشير بيديها وعينيها الى حيث غاصا في الماء وينقطع نفسها ثانيةً وتقف بين اليأس والرجاء وكأن حياتها معلقة بتلك الزوارق . وظلت على هذه الحال الى ان خارت قواها وكثر الفضول في دماغها فأُغمي عليها وتاهت في فيافي البحران لا تعي على شيءٍ

الفصل السابع والثلاثون

كشف المخبإ

القاهرة قائمة قاعدة ولا حديث للناس ولا بحث للجرائد الاَّ في سرقة بنك الخواجه لاقي والخواجه عزرا . وقد ثقل الرزء على الخواجه لاقي فرزح تحتهُ مع ان ما سُرق لهُ لا يوازي جزءًا صغيرًا من ثروتهِ فكيفما التفت" اليهِ رأيتهُ مبهوتًا يتمتم وينغض رأسهُ مرةً بعد اخرى كأنهُ يحسب الاموال التي فقدها ويفكر في الاساليب التي توصل الى استرجاعها ثم يرى انها عقيمة فيرفضها . وحذت زوجتهُ حذوهُ كأنها تشرَّبت اخلاقهُ كلها من هذا القبيل ورزح بها الهمُّ فكانت تقضي اكثر وقتها في سريرها . اما يوسف فلم يبالِ بما حدث ولا اقتصد في نفقاتهِ بل كان يقول لمن يكلّمهُ في هذا الموضوع ان ابي يريد ان يترك لي مال روشيلد وانا لا اريد ان احمل حملاً عجز هو عن القيام بهِ . ولكنهُ لم يكن يجسر ان يكلم اباهُ في هذا

الموضوع لان اباه كان ينتهره ويزيد همًّا وغمًّا فترك الامور تجري مجراها

واما استير فكانت كاللبوة الثاكل فلم تترك سبيلاً للبحث الاَّ طرقته لا حبًّا بالمال بل رغبةً في اكتشاف السارق . وتولَّت مقابلة المحامي ورئيس النيابة ورؤساء البوليس الى ان انتهت التحقيقات على ما تريد . وقبل ان ترفع القضية الى المحكمة جاء خبر غرق الباخرة التي كان فيها هنري واختهُ فاسودَّت الدنيا في عينيها وطار صوابها وصار شغلها الشاغل تعزية بهيَّة

وقد تضاربت الاقوال في امر السرقتين وخاضت الجرائد فيهِ على خلاف عادتها وجعل بعضها يصدر نشرات اضافية في المساء او في الصباح لإذاعة ما ظهر من مخبآت المسألة او لايهام القراء ان آثار السرقة وجدت في اماكن بعيدة. وانتشر البوليس السري في احياء العاصمة وانحاء القطر وجعلت البنوك تفحص كل ورقة مالية تقدَّم لها واهتمت النيابة العمومية بالامر اهتمامًا غير عادي لاسيما وان رئيسها الاول استعفى من منصبهِ او أُوعز اليهِ ليستعفي منهُ . وشاع ان الحقانية اهتمت بمذكرة المحامي عن الخواجه لاڤي في مسألة السائق والايطالي حيث قال فيها ان ليس الغرض من المحاكم ان تحكم بان حجَّة زيد اقوى من حجَّة عمرو كما يفعل اهل الجدَل بل ان تكتشف الحق وتبيّنهُ . وحسبت ان ذلك مبدأ قانوني وآخذت القضاة لانهم لم يهتموا بالبحث لاكتشاف الرجل الذي اغرى ذاك الايطالي بطرح نفسهِ امام المركبة . ولما قال لها احدهم انني كنتُ اعلم ان الرجل مغرًى بهذا الفعل ولكن المحامي لم يبين مَن اغراهُ بهِ وليس من شأني ان اقوم مقام المحامي في اظهار حق موكلهِ عنَّفتهُ تعنيفًا شديدًا وخيَّرتهُ بين ان يستعفي او يحاكم فاختار المحاكمة اولاً ثم اختار الاستعفاء . ورسخ في الاذهان من ذلك الحين ان القضاء يطلب من القضاة ان يظهروا الحق ولو عجز المحامون عن اظهارهِ

واتفق ان حدثت هذه الامور كلها في غضون التحقيق عن السرقتين فزاد الاهتمام بهما والقى البوليس القبض على ثلاثة ترجحت التهمة عليهم وعزرا في جملتهم . أُلقي القبض عليهم كلهم في ساعة واحدة وسيقوا الى السجن وضُرب اجل لمحاكمتهم بعد ستة ايام . ولما شاع ان عزرا في جملة المتهمين تضاربت الاقوال والظنون وظن الاكثرون ان النيابة مخطئة في عملها او انهُ يتعذَّر عليها ان تثبت التهمة عليهِ وغصَّت المحكمة وساحتها بالناس قبل المرافعة بساعتين وأُتي بالمتهمين ووضعوا في قفص المجرمين وذكر القاضي خلاصة التهمة وهي ان الخواجه عزرا تواطأ مع اثنين من اللصوص فقلدوا مفاتيح الخزانة التي في بنك الخواجه لاڤي وسرقوا ما فيها ثم قصدوا اخفاء فعلتهم فكسروا خزانة الحديد التي في بنك الخواجه عزرا واخذوا كل ما فيها ولا سيما دفاترهُ وان المسروقات كلها وجدت في بيت الخواجه عزرا نفسهِ وظهر من

فحص دفاتره انهُ لم يكتفِ بالسرقة ومشاركتهِ اللصوص بل زوَّر دفاترهُ في اماكن كثيرة فاختلس من الذين كانوا يشتغلون معهُ اموالاً طائلة

ثم وقف رئيس النيابة وجعل يبسط الادلة التي اوصلتهم الى اكتشاف السرقتين والسارقين وكان اقواها آثار انامل عزرا على الخزنتين كما ظهرت في الصور الفوتوغرافية التي صورت الخزنتان بها بُعَيْد السرقة واورد اقوال الثقات في ان آثار الانامل ادل دليل على صاحبها لان شكل الخطوط التي في انامل الشخص الواحد لا يلتبس بشكل الخطوط التي في انامل غيرهِ . واستغرقت مرافعة رئيس النيابة نحو ساعتين فلم تبقَ شبهة عند احد ان اللصين المقبوض عليهما هما اللذان سرقا السرقتين وان عزرا شاركهما في ذلك لا سيما وقد وُجدت المسروقات كلها في بيتهِ اما شريكاهُ يهوذا وحاييم فكانا غائبين

وتكلَّم بعدهُ المرافع عن اللصين فقال انهما أُغريا اغراءً اغراهما عزرا بذلك لغرض في نفسهِ لا بقصد السرقة واختلاس الاموال وطلب ان ترفق المحكمة بهما . ثم تكلَّم حنين افندي مدافعاً عن عزرا فبسط الكلام على اماني الشبيبة وكيف تحسّن للشبان عمل اعمال يتجنبونها لو قدَّروا عواقبها وما ذلك عن قصد سيءٍ بل عن خلل في قواهم العقلية سببهُ شدَّة القوة الحيويَّة فيهم وكثرة توارد الدم الى ادمغتهم فيحرف احكامهم ويحملهم على ارتكاب الموبقات وشأنهم في ذلك شأن المجانين الذين لا يطالَبون بما يفعلون . وافاض في هذا الموضوع واشار الى حب عزرا للسيدة استير واليأس الذي وقع فيهِ لما رآها تعرض عنهُ ازدراءً وتزيين الهوى لهُ ان يوقع اباها في ورطة ثم ينقذهُ منها لكي يكتسب رضاهُ ورضاها . واستشهد على صحة حجتهِ باقوال كثيرة لمشاهير الاطباء وبان عزرا احتفظ بكل ما اخذهُ من خزنة الخواجه لاڤي لم يفرط بغرش منهُ ثم طلب ان يعامل بالرحمة

اما احمد بك المطالِب بالحق المدني فلم يطلب سوى ان ترد الاموال وفوائدها ولم يعارض في طلب الرحمة للمدَّعى عليهم

وقام القضاة للمداولة فتداولوا دقائق قليلة ثم اصدروا حكمهم بنفي يني اكوليلو ورفيقهِ وبالسجن سنتين على عزرا وبرد المسروقات الى اصحابها وبان يدفع عزرا فائدة الاوراق المالية بمعدل سبعة في المئة وسائر النفقات

وكان عزرا قد استدعى حنين افندي الى السجن قبل المرافعة بيوم وانفرد بهِ ساعة من الزمان وعاد حنين افندي من عندهِ ومرَّ على مكتب احمد بك وسار بهِ الى بيت الخواجه لاڤي وقال مخاطباً الخواجه لاڤي ان عزرا ولدكم وابن امتكم وقد زيَّن لهُ الغرور انهُ اهل لان

يقترن بابنتكم حاسباً ان البنت مهما كان ابوها ترتضي بفتى مثل اخيها ولا يقلُّ سعياً عن ابيها. وعزرا كما تعلم من اكثر شبان امتكم سعياً وقد كسب ثروةً طائلة في سنتين من الزمان فلما رأى ان السيدة استير تنظر اليهِ شزراً وان كل تودده اليها لم يجدهِ نفعاً طار صوابهُ وفعل فعل المجانين وانا اقدر ان اثبت لك طبيًّا يا خواجه لاڤي ان الولد جُنَّ وما هذه اول مرة جُنَّ فيها العاشق ففعل فعل المجانين واتفق مع اللصوص على سرقة مكتبك لا طمعاً بالمال بل لكي يكتشف لك السرقة اخيرًا ويقلدك منَّةً وظنَّ ان يضيف امواله ُ ايضاً الى المسروقات حتى يجد اموالك بحجة التفتيش عن امواله ِ فالقصد حسن كما ترى ولكن فعله ُ في حد الحماقة لا يفعله ُ الَّا المجنون فارحم شبابهُ وارحم ذويهِ ولا تقضِ عليهِ قضاءً مبرماً

فتأثر الخواجه لاڤي من هذا الكلام وقال لا مانع عندي اذا كان احمد بك يرى وجهاً للعفو عنهُ ولكن لا بدَّ من ان يرد لي اموالي كلها مع فوائظها مدة شهر او اكثر

فقال حنين الاموال كلها في المحافظة وستتسلمها اليك بعد الحكم

الخواجه لاڤي — والفوائظ

حنين افندي — انا اتعهد لك بها على معدَّل خمسة في المئة كما تقدرها المحكمة

الخواجه لاڤي — انت تعلم ان القطع غالٍ الآن والبنوك لا تسلف الَّا بسبعة في المئة فلا اقبل الَّا سبعة في المئة

فقال حنين افندي سبعة في المئة سبعة في المئة فقُلْ لاحمد بك ان لا يطالب بالحق المدني بل يؤَيدنا في طلب الرحمة

فسُرَّ الخواجه لاڤي لانهُ لم يكن يشاءُ الانتقام من عزرا بل كان يشفق عليهِ وطلب من احمد بك ان يفعل كل ما في وسعهِ لانقاذهِ ولما بلغهُ حكم المحكمة سُرّي عنهُ وودَّ لو أُطلق سبيله ُ وودَّت استير ان يكون عقاب عزرا اشد ولكن سرورها باكتشاف اللصوص وحزنها على هنري واختهِ صرفاها عن الاهتمام بامرهِ ولا سيما بعد ان علمت انهُ فعل ما فعل حبًّا بها

الفصل الثامن والثلاثون

الخاتمة

القمر بدرٌ والسماءُ صحو وجوُّ القاهرة لا ضبابَ ولا غبارَ كأَنهُ تهيأَ لرصد الكواكب. وابو الهول يرقب النيل جاريًا في مجراه ُ ورمال الصحراءِ تتهيَّب حماه ُ . والهرم الاكبر واقف كاسف البال كأَنهُ مجرم يخشى العقاب لانهُ لم يمنع اللصوص من هتك حرمتهِ واختلاس

وديعتهِ . ورعمسيس الكبير الذي ضاقت بهِ الدنيا بما رحبت احتواهُ صندوق صغير في المتحف الجديد وجلس بين آبائهِ واولادهِ وقد غارت عيناهُ ولصق جلدهُ بعظمهِ

في تلك الليلة انيرت دار واصف بك ونصب في حديقتها سرادق نخيم قُلعت لهُ الرياحين من خمائلها وأُبدلت بالبسط الوثيرة ووضعت فيهِ الكراسي والمقاعد المذهبة وعلقت فيهِ الثريات الكبيرة وأُبدلت شموعها بالكهربائية وتخلَّلت انوار الكهرباء اغصان الاشجار ونابت فيها مناب الاثمار ووقفت الموسيقى العسكرية امام الباب الكبير تحيي المدعوين وجماعةٌ من جلَّة الشبان يستقبلونهم رجالاً ونساء وهم من كل الامم القاطنة في القطر المصري والسيَّاح الذين يفدون اليهِ كلَّ شتاء من الاقباط والعرب والشوام والاتراك والجراكسة والفرس واليونان والطليان والانكليز والفرنسويين والالمان ومن كل طبقات الناس من نظَّار الحكومة ومستشاريها وكبار الموظفين فيها ووكلاء الدول الاوربية وكبار ائمة الدين ورؤَساء التجار ومديري الشركات وارباب الاملاك واصحاب الصحف . واكثرهم بالزي الافرنجي او التركي وبعضهم بالزي البلدي وكلهم بافخر ملابسهم ولاسيما النساء الاوربيات والاميركيات فانهنَّ كنَّ بحلل المساء تتألق الجواهر في رؤُوسهنَّ ونحورهن وتتضوَّع الروائح العطريَّة من طاقات الازهار في اياديهنَّ

وفي الساعة العاشرة عزفت الموسيقى المجرية في غرفة عالية تطلُّ على الدار الداخلية وكانت هذه الدار قد أُعدت للرقص وهي من ارحب دور القاهرة واعلاها بنيانًا وقد وقف حولها مئات من الرجال والنساء في الغرف المحدقة بها متهيئين للرقص فيها ودخلها اربعة ازواج كهلان وكهلتان وفتيان وفتاتان فافتتحوا الرقص على نغم الموسيقى فاشترك فيهِ نحو اربعين او خمسين من الحضور وتناوبوا ادوارهُ الى منتصف الليل وفتحت البيفه حينئذٍ فدخلها المدعوون رجالاً ونساء وهي حاوية افخر ما طهاهُ الطهاة واندر ما رأتهُ الموائد واعتق ما حوتهُ الدنان

ووقف الامام احمد مع حليم بك في شرفة من شرفات الدار وقال لهُ لقد صدق الشاعر حيث قال

اذا اشتملتْ على اليأس القلوبُ وضاق بما بهِ الصدرُ الرحيبُ
واوطنتِ المكارهُ واطمأَنتْ وارستْ في مكامنها الخطوبُ
ولم ترَ لانكشافِ الضرّ وجهاً ولا اغنى بحيلتهِ الاريبُ
اتاك على قنوط منك غوث يمنُّ بهِ اللطيف المستجيبُ.
فكل الحادثات وان تناهتْ فمقرون بها فرَجٌ قريبُ

مَن كان يحسب اننا في اقل من سنة ينفرط عقدنا ثم ينتظم ويتفرَّق شملنا ثم يجتمع

وتحلُّ بنا البلايا والمحن ثم تنفرج ونعود الى احسن ممَّا كنا . مَن كان يظن ان حليمة يخرق الرصاص صدرها و يتولَّاها المرض والنحول ويقضي الداء عليها ثم تبعث حيَّة وتسترد قواها في شهر من الزمان . ولطالما كنتُ اجهل الحكمة من غسل الموتى واقول في نفسي لا بدَّ من سبب لهُ الى ان استفاقت حليمة وهي تُغسل وتكفَّن لتدفن فرأيتُ الحكمة في ذلك واضحة كالصبح لذي عينين ولولا غسلها لوار يناها التراب وهي في قيد الحياة . ولقد قرأتُ عن كثيرين فُتحت قبورهم فظهر انهم دُفنوا فيها احياء وهم في حالة الاغماء ثم استفاقوا وحاولوا الخروج منها فقضي عليهم بعد ان ذاقوا العذاب الوانًا

ومثل حليمة هذا الشاب الانكليزي الذي اكتنفتهُ اللجج ثم قذفت بهِ بعد ان قُطع كل رجاء من نجاتهِ ولقد سمعت بالامس قصتهُ وقصة اختهِ من بعض الذين شاهدوهما من ركَّاب الباخرة التي كانا فيها فلم ارَ في اقاصيص الاولين والآخرين ما هو اغرب من نجاتهِ

أوَلا تحسب نجاة امين بك من هذا القبيل بعد ان سقط امام مركبة الترامواي وكاد عجلها يسحق رأسهُ أضف الى ذلك النجاة من الافلاس الذي قصدهُ عزرا الخبيث لهذا البيت الكريم وبيت الخواجه لاقي انتقامًا من استير لانها عرفت مكرهُ وابت ان تقترن بهِ . ولقد جاء الحكم عليهِ مؤدبًا لهُ ورادعًا للمحتالين عن التمادي في غيهم وسيق الى السجن عدلاً وعادت الاموال الى اصحابها والفضل في ذلك لاستير التي اكتشفت اكثر مخبآت هذه القضية بذكائها وفطنتها فعاد كل شيء الى نصابهِ وعدنا الى افضل ما كنا عليهِ بمجيء لورد بنشيلد الى هذا القطر لانهُ ابتاع من الحكومة مئة الف فدان وعقد لها شركة ووزع اكثر اسهمها على بيت الخواجه لاقي واصدقائهِ . واني احسب اقتران هذا الفتى الانكليزي بابنة مصريَّة من تباشير اقتران الغرب بالشرق فلقد فصلت بينهما الاغراض السياسية زمانًا طويلاً من قبل عهد الاسكندر ذي القرنين وعسى ان يتصلا بعد الآن فيزول ما نراهُ من النفور بين الشرقي والغربي . وهذا العقد الشريف عقد الزيجة الذي طالما وصل بين الشعوب والقبائل من عهد المصريين القدماء والَّف بين الامم المختلفة هو الضمان الوحيد لإعادة الامتزاج بين دماء الشعوب ونزع ما تولَّد فيها من الفوارق بتوالي الازمان

ولقد حضرت الاحتفال باقترانهما في الكنيسة المرقصية الكبرى وحضرهُ غيري من ائمتنا مع نظَّار الحكومة ومستشاريهم ووكلائهم فراقني ما رأيتهُ من اجتماع المسلمين والمسيحيين والاسرائيليين ومن اشتراك اساقفة المذهب الانكليزي مع اساقفة المذهب القبطي فان ذلك كلهُ من ادلَّة التقرُّب الواجب بين المذاهب والملل ولو شاء ربك لجعل الناس امَّة واحدة

وما بينهم من الاختلاف ليس بضائر اذا لم يستعملوهُ وسيلة للضرر ولا سبيلاً للكسب

وبينما كانا يتكلمان دنا منهما هنري وبهية متكئة على ذراعهِ وسلما عليهما فهنأهما الامام احمد واعاد لهما بعض حديثهِ الاخير فشكرهُ هنري على ما سمعهُ منهُ من الاقوال الفلسفية والتهانئ القلبية والتفتت بهية الى حليم بك وقالت ان جمال تلك الليلة لا ينقصهُ الاَّ حضور حليمة . ثم اقبل السر ادورد برون مع مدام واصف بك وواصف بك مع مدام لاڤي والخواجه لاڤي مع لادي برون وامين بك مع استير والخواجه يوسف مع دورا ووقف الكل حول هنري وبهية والامام احمد وحليم بك والتفتت بهية الى من حولها وفي لحظة من الزمان مرَّ امام مخيلتها ما مرَّ بها وبالذين حولها من العبر منذ التقوا في البالُّو الخديوي الى تلك الساعة فجالت الدموع في عينيها دموع الشكر للعناية التي بدَّلت ايام البؤس بايَّام النعيم وجمعت شملها بحبيبها بعد ذاك الفراق الاليم

وعُرضت هدايا العروس وكان بينها الماسة اليتيمة المعروفة بباشا مصر وثقلها تسعة واربعون قيراطاً ويقدَّر ثمنها بنحو ستة واربعين الف جنيه اهداها واصف بك الى ابنتهِ بعد ان صاغها لها في قلادة لتعلق في عنقها فدلَّت على ان ثروتهُ تفوق ما قدَّرهُ المقدرون

بينما كان الاحتفال قائماً في دار واصف بك باقتران ابنتهِ كان الخدَم يحتفلون باقتران آخر فقد حضر شيخ من المأذونين وكتب كتاب قدم خير جارية بيت الخواجه لاڤي على عبد الله خادم بيت واصف بك واستأذن الاثنان اسيادهما في السفر الى بلادهما واهدت اليهما بهية واستير ومدام واصف بك ومدام لاڤي هدايا كثيرة . ولم يكن سرور الخدم اقل من سرور اسيادهم اما زين الدار خادمة عزرا فلم تشاركهم في افراحهم بل ذهبت الى السجن لتخدم سيدها فيهِ وكانت اعطف الناس عليهِ واشدهم ولاءً لهُ

تنبيه — وقع في هذه الرواية كثير من الخطإِ المطبعي ووقع فيها ايضاً خطأٌ من قبيل السهو كذكر بهيَّة بدل حليمة في الصفحة ٧٧ والسطر ١٨ وذكر السر هنري بدل السر ادورد في الصفحة ١١٤ و ١١٥ و ١١٦ واستير بدل بهيَّة في السطر ٦ من الصفحة ١٤٤ وكل ذلك ممَّا لا يخفى اصلاحهُ على القارئ اللبيب